# في الغابة تحت أزهار الكرز في أوج تفتحها

# 桜の森の満開の下

Telegram:@mbooks90

ساكاغوتشي أنغو

坂口安吾

ترجمتها عن اليابانية: د. هبة الله أبو بكر

مَسَار

# المقدمة

حين تتفتح أزهار الكرز المعروفة باللغة اليابانية بـ"الساكورا"، قد يظن الكثير أن المشهد لا يحمل سوى البهجة، وأن الجمال وحده هو ما يملأ المكان. غير أن في الأدب الياباني الحديث والمعاصر، ثمة أصوات رأت ما وراء هذا المشهد المألوف، وسمعت في قلبه همس الموت وظلاله. في هذا الكتاب، يلتقي القارئ بعملين بارزين أعادا صياغة صورة أزهار الكرز التقليدية، كلٌّ بطريقته، وفي سياقه التاريخي، لكن بينهما خيط خفي من التأثير والإلهام.

البداية كانت مع "كاجي موتوجيرو梶井基次郎"، الذي قدّم عام 1928 نصه القصير المكثّف "تحت أشجار الكرز". هنا تُكشف للمرة الأولى في الأدب الياباني صورة صادمة وصارخة: تحت روعة الأزهار المشرقة، هناك جثث مدفونة، تمتد الجذور إليها كأذرع نهمة تمتص دمائها وهذا هو سرّ هذا التفتّح الأخّاذ. جملته الشهيرة " تحت أشجار الكرز ترقد جثث مدفونة " كانت كافية لتقويض الصورة النقية التي ارتبطت تقليديًا بأزهار الكرز، وإحلال صورة جديدة تمزج بين "الجمال" و"القبح"، "الحياة" و"الموت"، في ارتباط وثيق بمفهوم الـ موجوكان"無常観" والذي يعني إدراك زوال كل شيء وفنائه. وقد أثرت هذه الرؤية المظلمة في أجيال لاحقة من الأدباء.

Telegram:@mbooks90

وبعد قرابة عقدين، وفي أعقاب الهزيمة المدمرة لليابان في الحرب العالمية الثانية، جاء "ساكاجوتشي أنجو坂口安吾" بروايته "في الغابة تحت أزهار الكرز في أوج تفتحها" (1947)، ليعيد إحياء صورة

أزهار الكرز التي تضررت رمزيًا و ماديًا بعد الحرب. فأزهار الكرزالتي كانت رمزًا وطنيًا، وحُملت على أجنحة طائرات الكاميكازي كدلالة على التضحية والخلود، فقدت بريقها مع انهيار الجيش والإمبراطورية، بل أزيلت من الكتب المدرسية وقُطعت أشجارها في اليابان والمستعمرات السابقة. في هذا السياق، منحها ساكاجوتشي حياة جديدة، لكن بروح مختلفة: في ظاهرها صورة تقليدية تربط أزهار الكرز بالمرأة الجميلة الفاتنة، وفي باطنها وجه آخر يحمل في طياته جمال متوحش قادر على سحر وخداع من يقترب منه، تمامًا كالغابة المزهرة التي تثير الرهبة في قصته.

على اختلاف الظروف التي صدرت فيها كلا العملين الأدبيين وبنيتهما، يلتقي النصان في قدرتهما على تحويل مشهد طبيعي مألوف إلى سؤال ميتافيزيقي عن علاقة الجمال بالفناء، وعن الوجه الآخر لما نراه بديعًا. الأزهار في كليهما ليست مجرد زينة للربيع، بل كائنات تنبض بدمٍ قديم، وتستدعي في النفس رهبة وافتتانًا في آن واحد.

إن اختياري لترجمة هذين النصين ينبع من نفس الدافع الذي جعلني أدرسهما في رسالتي للماجستير: فكلاهما يمثل نقطة انعطاف في تطور رمزية أزهار الكرز في الأدب الياباني، من الصورة المثالية المشرقة إلى الصورة المركبة التي تحتضن الجمال والموت معًا. لعل القارئ يجد في هذا الكتاب رحلةً مزدوجة إلى قلب الطبيعة، وإلى قلب الإنسان، حيث لا ينفصل الجمال عن العتمة، ولا الربيع عن أثر الموت.

ولكي تتضح أمام القارئ مسيرة هذا التحوّل الذي مرت به رمزية

أزهار الكرز في الأدب الياباني ، سعيت أيضًا إلى ترجمة بعض أشعار أزهار الكرز التي سُجلت في" كوكين واكاشو古今和歌集"، أحد أهم دواوين الشعر الياباني الكلاسيكي، لإبراز الجانب الجمالي الصافي لصورة أزهار الكرز التقليدية. ففي الأدب الكلاسيكي، كانت الساكورا رمزًا للجمال، والتغزّل بالمرأة، والاحتفال ببهجة الربيع. لكن مع مرور الزمن، بدأ بعض الأدباء ينظرون إلى ما وراء هذا الجمال الظاهر، فرأوا فيه جانبًا آخر قد يبدو للوهلة الأولى مظلمًا أو كئيبًا، غير أنه في الحقيقة الوجه الآخر للعملة نفسها؛ وجهٌ يُبرز من خلال المقابلة مدى فتنة هذه الزهرة. ولولا قصر عمر أزهار الكرز، التي ما إن تبلغ أوج تفتحها حتى تتساقط بتلاتها سريعًا، لما ارتبطت في وجدان الشعب الياباني بذلك العمق العاطفي وهذا القدر من التعلّق، حيث يصبح جمالها أكثر إدهاشًا لأنه يحمل في طياته وعد الفناء والزوال. هكذا، يمكن للقارئ أن يتتبع كيف انتقلت الساكورا من رمز النقاء والاحتفال في الأدب الكلاسيكي، إلى رمز مركّب يمزج الجمال بالفناء في الأدب الحديث والمعاصر.

# في الغابة
# تحت أزهار الكرز في أوج تفتحها

**تعريف بالمؤلف :**

**ساكاغوتشي أنغو (1906-1955)**

وُلد ساكاغوتشي أنغو في إقليم نييغاتا، ونشأ في أسرة متوسطة الحال. حملته الظروف إلى طوكيو حيث درس الفلسفة الهندية في جامعة تويو، غير أنّ الأدب كان وجهته الحقيقية. انخرط في الحركة الأدبية في ثلاثينيات القرن الماضي، لكن صوته لم يعلُ بوضوح إلا بعد الحرب العالمية الثانية، حين خرجت اليابان مثخنة بالهزيمة، تبحث عن معنى جديد للوجود. في تلك اللحظة التاريخية، بزغ نجم أنغو باعتباره أحد أبرز الأصوات التي عبّرت عن انهيار القيم التقليدية وضرورة مواجهة الإنسان لحقيقته العارية.

كتب مقالات نقدية جريئة كان أشهرها "堕落論" أي "عن الانحطاط" عام 1946، حيث صوّر الانهيار الأخلاقي والاجتماعي لا كفضيحة، بل كطريق إلى الصدق والحرية.

وفي موازاة ذلك، أبدع قصصًا وروايات تداخل فيها الواقعي بالأسطوري، واشتهر خصوصًا برواية "桜の森の満開の下" في الغابة تحت أزهار الكرز في أوج تفتحها" الذي قدّم فيه حكاية أسطورية عن الجمال والرعب، وعن المرأة والهاوية.

تميّز أسلوبه بخفة السرد وانسيابه، وبإصراره على أن تكون الكلمات "حية"، كما كان يقول، نابضة بعفوية الحديث اليومي. أعماله تجمع بين السخرية والجدية، بين الفانتازيا والواقعية، لكنها تظلّ في جوهرها بحثًا متواصلًا عن الحقيقة في عالم فقد بوصلته بعد الحرب.

رحل أنغو فجأة عام 1955، لكن أثره بقي شاهدًا على مرحلةٍ كاملة من التحوّل الثقافي في اليابان الحديثة.

# تعريف العمل المترجم

في أعقاب الهزيمة، كتب ساكاغوتشي أنغو نصه "في الغابة تحت أزهار الكرز في أوج تفتحها" ونشره للمرة الأولى في عام 1947 في العدد الافتتاحي من مجلة "肉体 الجسد". تتوافق هذه الرواية مع إتجاهه الفكري الذي يدعوا إلى نزع الأقنعة عن القيم الموروثة وإعادة النظر جذريًا في مفهوم الجمال والفضيلة بعد انهيار المفاهيم الكبرى في المجتمع الياباني عقب الهزيمة. هنا يصور أنغو فكرة الجمال الخاص بأزهار الكرز في ذروة تفتّحها، لا باعتباره مشهدًا للجمال الربيعي، بل بوصفه جمالًا يقلق ويُربك، جمالًا يجر الإنسان إلى حافة اللاعقل.

يشيّد النص عالمًا تخييليًا يجمع بين حكاية شبه أسطورية ولغة حديثة حادّة وتدور أحداثها بين لص الجبال الذي لا يخاف شيئًا، والمرأة الآتية من المدينة بجاذبية فاتنة تُخلخل يقينه، وغابة أشجار الكرز في أوج تفتحها التي تتحوّل من خلفية زينة إلى قوّة ميتافيزيقية تجرّد البشر من أقنعتهم. لا يقدّم أنغو أزهار الكرز بعتبارها رمزًا للبهجة العابرة فحسب، بل يكشف ظلالها المقلقة حيث يتماس الافتتان مع العنف، ويصير الجمال نفسه بابًا إلى المجهول المرعب.

ترك العمل أثرًا واسعًا في الذاكرة الثقافية حيث عُدّ من أبرز نصوص أنغو وتحوّل إلى فيلم شهير أخرجه"篠田正浩 شينودا ماساهيرو" عام 1975 بعنوان " Under the

Blossoming Cherry Trees "، ثم تتالت قراءاته وإعاداته المسرحية والسينمائية بوصفه نصًا يفضح الوجه المروّع المختبئ تحت قشرة الجمال و البهجة.

عندما تتفتح أزهار الكرز، يشرع الناس في التجول تحتها يشربون الخمر ويتناولون الحلوى، ينادون بأنها مناظر خلابة وبأن الربيع قد بلغ ذروته، ويمتلئون بهجة وحيوية لكن هذا كله كذب. ولماذا أقول أنه كذب؟ لأن الناس فقط منذ عصر إيدو بدأوا يتجمعون تحت أشجار الكرز، يسكرون، يتقيؤون، ويتشاجرون. أما في العصور القديمة، فقد كان مشهد أزهار الكرز يثير في النفوس رهبة لا جمالًا، ولم يكن أحد يراه مشهدًا بديعًا. لكن في هذه الأيام، اعتاد الناس على مشهد الحشود تحت أزهار الكرز، يظنون أن المكان بهيج وصاخب، لكن لو أزلت البشر من تحت هذه الأزهار، لتحول هذا المشهد إلى مشهد مرعب. حتى أنه في إحدى مسرحيات "النوه"، تدور حكاية حول أمٌ فقدت طفلها بعد أن اختُطف، فيجن جنونها أثناء بحثها عنه، إلى أن تصل إلى غابةٍ تموج بأزهار الكرز في أوج تفتحها، فترى في ظل الزهور طيف طفلها وتنهار حتى الموت، لتُدفن في النهاية تحت بتلات الأزهار (حسنا أقر أن هذا الجزء من إضافتي). هكذا، إن لم يكن هناك بشر تحت أزهار غابة الكرز، فستشعر بالرهبة لا محالة.

في قديم الزمان، كان على المسافرين الذين يمرّون عبر ممر "سوزوكا" أن يسلكوا طريقًا يمرّعبرغابة مليئة بأشجار الكرز. لم تكن هناك مشكلة في المواسم التي لا تتفتح فيها الأزهار، أما في موسم الإزهار، فكان جميع المسافرين يفقدون صوابهم تحت تلك الأزهار. كانوا يندفعون بأقصى ما لديهم من سرعة،

محاولين الهرب إلى حيث الأشجار الخضراء أو اليابسة، بعيدًا عن أزهار الكرز. وإن كان المسافر وحيدًا، فلا بأس في ذلك، إذ يكفيه أن يفرّ من تحت الأزهار إلى ظلّ الأشجار العادية، فيتنفس الصعداء ويهدأ. أما إن كان مسافرا مع رفيق، فذلك أمر سيئ، لأن سرعة الأقدام تختلف من شخص لآخر، فيتخلف أحدهما عن الآخر، ويصرخ متوسلًا: "انتظرني!" لكن الآخر، وقد استبد به الهلع، لا يبالي بصراخه ويهرب تاركًا صديقه خلفه، كما لو كان مجنونًا. وهكذا، ما إن يمرّ المسافران تحت أزهار غابة الكرز في ممرّ "سوزوكا"، حتى تتبدّد صداقتهما التي دامت طويلًا، ويغدو أحدهما عاجزًا عن الوثوق في وفاء الآخر. وبسبب تلك التجارب، كان من الطبيعي أن يتجنب الناس المرور من تحت غابة الكرز، حتى وإن تكبدوا عناء سلوك طريق جبلي آخر، أطول وأكثر التفافًا. ومع الأيام، غدت غابة الكرز بعيدة عن دروب المسافرين، مهجورة في صمت الجبل، لا تطأها قدم بشر على الإطلاق.

ومضت سنوات على ذلك الحال، حتى جاء إلى الجبل أحد قطّاع الطرق ليسكنه. كان رجلاً قاسيًا لا يعرف للرحمة سبيلًا، يخرج إلى الطريق العام، فينزع عن الناس ثيابهم بلا شفقة، ولا يتردد في سلب أرواحهم. ومع ذلك، فإن هذا الرجل نفسه، حين يمر تحت أزهار غابة الكرز، كان يشعر بالخوف، ويختل توازنه. لذلك كره قاطع الطريق أزهار الكرز. كان يتمتم في أعماقه: الزهور... ما أمرها! شيء يبعث على الخوف، ويثير

في النفس نفورًا لا سبب له ."كان يشعر وكأن الريح تعصف بقوّة تحت الأزهار، رغم أنّ الهواء ساكن لا يتحرك، ولا يُسمع صوتٌ على الإطلاق. لم يكن هناك سوى هيئة جسده وصوت خطاه، محاطَين بريحٍ باردة ساكنة، لا تتحرك، ولا يُسمع فيها غير صمتٍ ثقيل. كان يشعر وكأنّ روحه تتناثر كما تتناثر بتلات الأزهار، وأنّ حياته تذبل شيئًا فشيئًا. فيرغب أن يغلق عينيه ويصرخ هاربًا، لكن إن فعل، فسيصطدم بأشجار الكرز، فلا سبيل لإغماض عينيه، الأمر الذي كان يدفعه إلى حافة الجنون أكثر فأكثر.

غير أن قاطع الطريق كان رجلًا هادئ الطبع، لا يعرف الندم طريقًا إلى قلبه، ولهذا قال في نفسه: "غريب هذا الأمر!" ثم أضاف: "سأفكر فيه في العام القادم". لم يكن لديه هذا العام مزاج للتفكير. ففكر قائلا: "حين تتفتح الأزهار في العام المقبل، سأتأمل الأمر مليًا آنذاك." وهكذا، كان يردّد هذا الوعد في نفسه كل سنة، حتى مضت أكثر من عشر سنوات، وها هو ذا، في هذا العام أيضًا، يؤجل الأمر قائلًا: "سأفكر فيه عندما يأتي العام القادم" - وإذا بالسنة تمضي هي الأخرى.

وبينما ظل يؤجل التفكير عامًا بعد عام، كان عدد زوجاته يتزايد حتى بلغ عددهن سبع نساء. أما الثامنة، فقد اختطفها هو من الطريق العام، مع ثياب زوجها، الذي لم يكتفِ بسرقته بل قتله أيضًا.

شعر قاطع الطريق، منذ اللحظة التي همّ فيها بقتل زوج هذه المرأة، بأن هناك أمرًا غير مألوف. كان هناك شيء مختلف، وإن لم يستطع أن يحدده بدقة. شيء غريب على نحوٍ ما. غير أن طبعه لم يكن من أولئك الذين يأسرهم التأمل في التفاصيل، لذا لم يشغل باله بالأمر كثيرًا في ذلك الحين.

لم يكن قاطع الطريق ينوي في البداية قتل الرجل؛ كان كعادته سيجرّده من ثيابه، يركله، ويأمره بالاختفاء من أمامه. لكن المرأة كانت فائقة الجمال، فوجد نفسه، دون وعي، وقد هوى بسيفه على الرجل وقتله. لم يكن ما حدث مفاجئًا له وحده، بل كان كذلك بالنسبة للمرأة أيضًا؛ فقد دلّت حالتها على ذلك - فعندما التفت إليها قاطع الطريق، وجدها جاثية وقد خارت قواها، تحدّق في وجهه بشرود. قال لها: "من اليوم، أنتِ زوجتي." فأومأت برأسها.

أمسك بيدها ليُساعدها على الوقوف، فقالت إنها لا تستطيع السير، وطلبت منه أن يحملها على ظهره. فأجابها قاطع الطريق قائلًا: "طبعًا، طبعًا"، وحملها بخفة ومضى بها ماشيًا. لكن عندما وصل إلى منحدرٍ جبليٍّ وعر، قال لها: "هذا المكان خطر، عليك أن تنزلي وتسيري على قدميك." غير أنها تشبثت بعنقه، ورددت بإلحاح: "لا، لا... لا أريد!" ورفضت النزول. قالت له: "إذا كان هذا المنحدر يشقّ على رجلٍ من أهل الجبال مثلك، فكيف تظن أنني قادرة على السير فيه؟ فكّر قليلًا!".

فردّ عليها قائلًا: "آه، فهمت، فهمت... حسنًا، حسنًا"، وظل محافظًا على مزاجه الطيب رغم التعب والإرهاق.

"لكن، اسمحي لي أن تنزلي مرة واحدة فقط. أنا لست متعبًا، فأنا رجل قوي، ولا أحتاج إلى راحة. لكن عينيّ ليستا في مؤخرة رأسي، وأشعر بالضيق لعدم قدرتي على رؤية وجهكِ. فقط مرة واحدة... انزلي ودعيني أتأمل هذا الوجه الجميل".

"لا، لا!" قالت وهي تعاود التشبث أكثر بعنقه . "لا أستطيع البقاء لحظة واحدة في هذا المكان الموحش! أسرع، خذني إلى بيتك دون أن تتوقف للحظة واحدة. وإن لم تفعل، فلن أكون زوجتك. إن تركتني أذوق هذا الشعور بالوحدة، فسأعضّ لساني حتى الموت"

"حسنًا، حسنًا... فهمت. سأفعل لك كل ما تريدينه".

شعر قاطع الطريق، وهو يفكّر في ما ينتظره من متع إلى جوار هذه الزوجة الجميلة، بسعادة لذيذة تكاد تذيبه من فرط دفئها.

انتفخ صدره فخرًا، ورفع كتفيه بتباهٍ، ثم دار بجسده دورةً كاملة ليُري المرأة الجبال من أمامه وخلفه، وعن يمينه ويساره، وقال:

"جميع هذه الجبال، كلّ ما ترينه منها، هو ملكٌ لي!".

لكن المرأة لم تُعر كلامه أي اهتمام، فشعر بخيبة أمل لم

يتوقعها، وقال مرة أخرى :

"اسمعي جيدًا... كل جبلٍ ترينه، كل شجرة، كل وادٍ، وحتى الغيم المتصاعد من أعماق تلك الوديان - كل ذلك ملكي".

لكنها ردّت، غير مبالية:

"تابع السير بسرعة، لا رغبة لي في البقاء أسفل هذا الجرف المليء بالصخور والنُتوءات".

قال لها: "حسنًا، حسنًا... عندما نصل إلى البيت، سأُعدّ لكِ وليمة لا تُنسى".

فردّت بنفاد صبر: "ألا يمكنك الإسراع أكثر؟ اركض بي!"

فقال: "هذا المنحدر صعب، حتى لو كنت وحدي لما استطعت الركض فيه".

فأجابته بسخرية لاذعة: "يا لك من رجل بلا عزيمة، على عكس ما يبدو عليك! ما أسوأ حظي، لقد أصبحتُ زوجة لرجل لا رجاء فيه... آه، آه... كيف سأعيش من الآن، وعلى من أعوّل؟".

"لا تقولي كلامًا سخيفًا... بالطبع أستطيع تسلق مثل هذا المنحدر".

"آه، ما أبطأك! هل تعبتَ بالفعل؟".

"أي كلام هذا! ما إن أقطع هذا المنحدر، حتى أعدو أسرع من

الغزال!".

"لكن أنفاسك تبدوا متقطعة، ووجهك شاحب".

"هكذا تكون البدايات دائمًا. لكن ما إن ألتقط الوتيرة، ستريننني أركض بسرعة تجعلكِ تَدورين فوق ظهري من شدّتها".

لكن قاطع الطريق كان قد بلغ من الإعياء حدًّا شعر معه وكأن جسده قد تفتّت عند كل مفصل. وعندما وصل أخيرًا إلى عتبة بيته، كانت عيناه تزيغ، وأذناه تطنّان، ولم يبقَ في صوته المهزوز بقية ليُخرج بها حتى أنّة واحدة. خرجت زوجاته السبع لاستقباله، لكنه لم يكن يملك من القوة سوى ما يكفي ليرخي جسده المتخشّب كالحجر، وينزل المرأة عن ظهره.

Telegram:@mbooks9

انبهرَت الزوجات السبع بجمال المرأة الجديدة؛ جمال لم يُشاهدن مثله قط. أما هي، ففزعت من قذارتهن. بعضهنّ كنّ جميلات في السابق، لكن الآن لم يبقَ من ملامح الجمال فيهنّ شيء يُذكَر. شعرت المرأة بالقشعريرة، وانكمشت إلى الخلف على ظهر الرجل وهمست بتقزّز:

"من هؤلاء النسوة ؟".

فأجابها الرجل، مرتبكًا: "هؤلاء... كنّ زوجاتي في الماضي".

وقد جاءت جملة "في الماضي" وليدة اللحظة، لكنها كانت موفقة على نحو مفاجئ في هذه اللحظة، إلا أن المرأة لم تُبدِ

أي تساهل.

قالت باستهجان: "حقًا؟! هؤلاء هن زوجاتك؟".

فأجابها الرجل مدافعًا: "انظري... لم أكن أعلم أن في الدنيا امرأة جميلة مثلك".

فصرخت، مشيرة إلى أكثرهن حسنًا:

"اقتُل تلك المرأة!".

"لكن... لا حاجة لقتلها، اعتبريها مجرد خادمة فحسب".

"قتلت زوجي دون تردد، والآن تعجز عن قتل زوجتك؟أبعد كل هذا... ما زلت تظن أنك تستحق أن أكون زوجتك؟".

انفلتت من بين شفتي الرجل المطبقَتين أنّة مكتومة، ثم وثب فجأة كمن أفلت من قيده، وقتل بسيفه المرأة التي أشارت إليها. لكن لم يُتح له حتى أن يلتقط أنفاسهحتى صرخت المرأة قائلة:

"هذه الآن! نعم، تلك! اقتلها!".

تردّد الرجل لحظة، لكنه ما لبث أن تقدم بخطى ثقيلة، وغرس سيفه العريض في عنق المرأة التالية. ولم تكن رأسها قد انتهت من التدحرج بعد، حين رن صوت المرأة الجديدة،بنغمة عذبة رنانة وهي تشير إلى الضحية التالية:

"هذه... الآن، اقتل هذه!".

غطّت المرأة التي أشارت إليها وجهها بكلتا يديها وأطلقت صرخة مدوّية: "آآآه!" - فما إن سمع الرجل صراخها حتى رفع سيفه، وانقضّ به في ومضة خاطفة عبر الهواء. عندها، انتفضت النساء المتبقيات دفعة واحدة، واندفعن يركضن في كل اتجاه.

صرخت المرأة: " إن أفلتت واحدة منهنّ، فلن أغفر لك.هناك واحدة تختبئ خلف الشجيرات، وأخرى تهرب نحو الأعلى".

راح الرجل يركض بجنون في الغابة، ملوّحًا بسيفه الملطخ بالدم. كانت هناك امرأة واحدة فقط عجزت عن الهرب، وقد انهارت على الأرض من شدة الخوف. كانت أقبحهنّ، وكانت عرجاء. بعد أن ذبّح جميع الهاربات دون أن يترك منهنّ واحدة، عاد إلى حيث هي، ورفع سيفه بلا تردّد، لكن المرأة الجميلة أوقفته قائلة:

"دع هذه، لا تقتلها... سأجعلها خادمة لي".

"ما دمت بدأت، فلأنهي الأمر بها أيضًا".

"أحمق! أنا من تطلب منك أن تتركها حيّة".

"آه... صحيح... معكِ حق".

ألقى الرجل سيفه الملطخ بالدم بعيدًا، وتهالك جالسًا على الأرض. اجتاحه الإرهاق فجأة، وأظلمت الدنيا في ناظريه، وأحسّ بجسده يثقل كما لو أنّه قد غرس في التراب، لا يكاد

ينفصل عنه. وفجأة، انتبه إلى الصمت الذي يخيم حوله. تسلّل إلى قلبه خوف هائل كاد يقفز به من مكانه، فالتفت بفزع، فإذا بالمرأة تقف هناك، بصمتٍ تنبعث منه مسحة من الحزن والعجز، لا تدري أين تمضي. شعر الرجل وكأنه استيقظ من كابوس. وانجذبت عيناه وروحه بلا وعي نحو جمال المرأة، فتشبّثا به، عاجزين عن الحراك.ومع ذلك، فقد كان في داخله قلقٌ غامض... شعورٌ لم يستطع تفسيره، لا يعرف ما نوع هذا القلق، ولا ما سببه، ولا ممَّ ينبع تحديدًا لكنه كان هناك، يُثقل قلبه بصمت. لكن المرأة كانت بالغة الجمال، حتى إن روحه كانت منجذبة إليها بلا مقاومة، وذلك الانجذاب وحده هو ما جعله يغضّ الطرف، ولو مؤقتًا، عن القلق الذي يعتريه.

فكّر الرجل: "هناك شيء ما... كأنه مألوف". راح يبحث في ذاكرته، شعر أنه مرّ بشيء مشابه في وقت ما... "نعم، نعم، هذا هو". وما إن تذكر، حتى فوجئ بالأمر.

إنه المكان تحت أزهار غابة الكرز في ذروتها.. كان يشبه شعوره عندما مرّ من هناك. لا يدري ما الذي يشبهه بالضبط، ولا كيف، ولا في أي شيء تحديدًا. لكنه كان متأكدًا أن هناك شبهًا ما. وهذا القدر من الفهم كان دومًا كافيًا له؛ إذ لم يكن من أولئك الذين يسعون وراء التفسير والتحليل، ولا كان يُزعجه أن يظل الجزء الأعمق من الأمور غامضًا.

انقضى فصل الشتاء الطويل في الجبال، ولم يبقَ من الثلج

سوى بقع متناثرة على قمم الجبال، وفي منخفضات الوديان، وتحت ظلال الأشجار. لكن موسم الأزهار كان على الأبواب، وبشائر الربيع بدأت تتلألأ في أرجاء السماء.

فكّر الرجل: "حين تتفتح أزهار الكرز هذا العام".

في البداية، لا يكون الأمر سيئًا عند الاقتراب من الأزهار. فيجرؤ على المضي قدمًا والسير تحتها. لكن شيئًا فشيئًا، ومع كل خطوة، يبدأ الاضطراب يتسلّل إلى قلبه. أينما نظر - أمامه، خلفه، يمينه، يساره - لا يرى سوى الأزهار تتدلى من فوقه، تحاصره. وحين يقترب من قلب الغابة، يستبدّ به الخوف، ويغدو الأمر لا يُحتمل. قال في نفسه: "هذا العام، سأفعلها... سأجلس هناك، في قلب الغابة، وسط الأزهار المتفتحة، دون أن أتحرك، لا، بل سأتجرأ وأجلس على الأرض نفسها". ثم خطرت له فجأة فكرة أن يصطحب هذه المرأة معه. ولكن ما إن رمق وجهها بنظرة خاطفة، حتى ارتجف قلبه واضطرب صدره، فارتبك وأشاح ببصره عنها سريعًا.

شعورٌ غامضٌ تملكه - وكأن فكرة أن تكتشف هي ما يدور في صدره ستكون أمرًا فادحًا، وظل هذا الإحساس كجمرٍ يتوهج في أعماقه.

★

كانت المرأة شديدة الأنانية. مهما بذل من جهد لإعداد أطيب الطعام لها، لا بدّ أن تعترض وتتذمّر. كان يجوب الجبال

لاصطياد العصافير والغزلان، وحتى الخنازير والدببة. أما المرأة العرجاء، فكانت تمضي نهارها في الغابة تبحث عن براعم الأشجار وجذور الأعشاب. ومع ذلك، لم تُظهر المرأة الجميلة يومًا أي علامة على الرضا.

قالت باستهجان:

"أتريدني أن آكل مثل هذا الطعام كل يوم؟".

فأجابها الرجل:

"لكنها وليمة نادرة! قبل أن تأتي إلى هنا، كنا لا نحصل على مثل هذا الطعام إلا مرة كل عشرة أيام".

"أنت رجل قضيت حياتك في الجبل، لذا ربما يرضيك هذا النوع من المعيشة. أما أنا، فلا أستطيع أن أبتلع هذا الطعام. في هذا الجبل المقفر، حيث الليل طويل لا ينقضي، ولا يُسمع فيه سوى نعيق البوم... ألا يمكن، على الأقل، أن أتناول شيئًا لذيذًا لا يقلّ عن طعام المدينة؟ كم أفتقد هواء المدينة؟ هل تدرك مدى الألم الذي أعيشه، وقد قُطعت عن نسيمها؟ لا... لا يمكنك أن تتخيّل. لقد حرمتني منه، وكل ما قدّمتَه لي في المقابل هو نعيق الغربان والبوم. ولا ترى في ذلك شيئًا يُخجل، ولا حتى شيئًا من القسوة؟".

لم يكن الرجل قادرًا على استيعاب منطق كلمات المرأة المليئة باللوم. فهو لا يعرف ما يعنيه "هواء المدينة"، ولا

يستطيع حتى أن يتخيله. لم يخطر بباله يومًا أن في هذه الحياة السعيدة التي لاطالما كان يحسبها مكتملة، قد يكون ينقصها شئ ما. كل ما استطاع أن يشعر به هو حيرةٌ أمام لهجة المرأة الممزوجة بالمرارة والحنق، تلك النبرة التي أثارت في صدره ارتباكًا مؤلمًا. لم يكن يملك أي معرفة أو تجربة تُمكّنه من فهم ما تشكو منه أو كيفية التعامل معه، فصار يعاني من ضيقٍ مكتوم، كأنه يتخبط في فراغ لا يعرف كيف يخرج منه.

لقد وصل إلى مرحلة أنه لم يعد قادرا على إحصاء عدد المسافرين من المدينة الذين قتلهم حتى الآن. فهؤلاء القادمون من العاصمة كانوا غالبًا من الأثرياء، يحملون ممتلكات فاخرة، لذا كانت المدينة بالنسبة له مصدرًا جيدًا للغنائم. وإذا ما صادف أن وجد في متاع أحدهم ما لا يرضيه، كان يسبّه قائلًا: "تبًّا لك، أيها القروي التافه!" أو "يا فلاح أجوف! لذلك فإن معرفته بالمدينة لم تتجاوز هذا الحدّ - أنها المكان الذي يعيش فيه أصحاب الحليّ والأشياء الثمينة، وأن عليه فقط أن يسلبهم ما يحملون. لم يخطر بباله أبدًا أن يتأمل أبعد من ذلك، أو حتى أن يسأل نفسه عن أي اتجاه تقع فيه سماء المدينة.

كانت المرأة تعتزّ بأمشاطها، ودبابيس شعرها، وزينتها من أقلام الحُمرَة ، كأنها أثمن ما تملك. وإذا ما لامس ثوب الكيمونو الخاص بها طرفُ يده الملطّخة بالطين أو بدماء الحيوانات، كانت تنهره بشدّة، كما لو أن ثوبها هو حياتها ذاتها، وحمايته

واجب لا حياد عنه. كما أمرت بأن يبقى كل ما حولها نظيفًا، وأن يُعتنى بالبيت كما لو كان معبدًا لصورتها. لم تكن تكتفي بارتداء ثوب واحد وحبل رفيع لشدّه، بل كانت تلبس عدة طبقات وتربطها بأشرطةٍ كثيرة، وتلك الأشرطة كانت تُعقد بأشكال غريبة، وتُترك لتتدلّى بلا داعٍ. ومع كل ذلك، كانت تُضيف الزينة فوق الزينة، حتى تكتمل هيئتها. نظر إليها الرجل بدهشة واتّسعت عيناه، ثم تنهد. لقد أيقن الأمر أخيرا. ها هي تتجسّد أمامه صورة من الجمال، جمالٌ اكتمل، وهو الآن غارق فيه لا محالة.

قطعٌ مبعثرة، ناقصة، مبهمة، لا تحمل معنى في ذاتها، اجتمعت لتكوّن كيانًا واحدًا متكاملًا. ولو فُكك هذا الكيان، لعادت الأجزاء إلى فراغها، لا معنى لها ولا غاية. وقد أدرك الرجل، على طريقته، أن هذا ليس سوى ضرب من السحر البديع، سحرٌ لا يُفهم، لكنه يُقبل، ويُصدّق.

كان الرجل يقطع أخشاب الجبل ويصنع منها ما تأمر به المرأة. لم يكن يعلم ما الذي يصنعه بالضبط، ولا لأي غرض، وهو ينحت ويجمع القطع بيديه. لم يدرك إلا لاحقًا أنه يصنع كرسيًا ومسندًا للذراعين.

في الأيام المشمسة، كانت تأمره بإخراج الكرسي إلى الخارج، فتجلس عليه تحت الشمس أو في ظلّ الأشجار، وتغمض عينيها في صمت، وفي داخل الغرفة، كانت تستلقي متكئة

على المسند، غارقة في التأمل، في مشهد بدا للرجل غريبًا كل الغرابة، آسرًا، مفعمًا بالفتنة والالتباس. كان السحر يُمارس أمامه في الواقع، وهو نفسه كان يساعد في تنفيذه، وبالرغم من ذلك ظلّ دومًا ينظر إلى نتائجه بدهشة مشوبة بالريبة، والانبهار.

كانت المرأة العرجاء تمشّط كل صباح شعر السيدة الطويل الأسود. ولأجل ذلك، كان الرجل يجلب الماء خصيصًا من نبع بعيد في الوادي، حيث أنقى المياه. وكان يشعر بشيء من العذوبة في هذا الجهد الذي يبذله بعناية استثنائية. صار أمله أن يصبح هو نفسه جزءًا من تلك القوة السحرية، أن يُشارك بيده في تمشيط ذلك الشعر الأسود الطويل.

لكنها كانت تصدّه قائلة: "لا، لا! ليس بيديك الملوثة تلك!".

فكان يتراجع خجلًا، كطفلٍ أبعد عن لعبةٍ يحبها، ويسحب يده على استحياء. ثم يظل يراقب الشعر وهو يلمع، ويُعقد، ومن خلاله يظهر وجهها... فتتجلى أمامه صورةٌ من الجمال، كأنها حلمٌ لا نهاية له، حلمٌ يولد ويكتمل شيئًا فشيئًا أمام عينيه.

"يا له من شيء عجيب...".

راح يتفحّص الأمشاط المزخرفة ودبابيس الشعر المزيّنة، يديرها بين يديه ويتأملها. كانت أشياء لم يرَ لها يومًا معنى أو قيمة. وحتى الآن، لم يكن يملك حسًا نقديًا تجاه تناغم الأشكال أو علاقتها ببعضها أو ما تعنيه الزينة.

لكنّه فهم شيئًا آخر - فهم القوة السحرية الكامنة فيها.

لقد أدرك أن لكل شيءٍ روحًا... وأن في الأشياء حياة.

قالت له المرأة بنبرة ضيق:

"لا يجب أن تعبث بها. لماذا تفعل ذلك كل يوم؟".

"إنها غريبة حقًا...".

"وما الغريب فيها؟".

" تمتم الرجل بخجل :" لا أدري... ليس هناك شيء محدد".

لقد كان في داخله شعور بالدهشة، لكنّه لم يكن يعرف تمامًا مما ينبع ذلك الشعور وهكذا، وُلد في قلب الرجل خوفٌ من المدينة. ليس خوفًا بالمعنى المعتاد، بل خجلًا مشوبًا بالقلق - قلق الجاهل أمام المجهول، خجل من لا يعرف، يشبه ذلك الشعور الذي يراود المثقف حين يواجه شيئًا لا يفقهه. في كل مرة تنطق فيها المرأة بكلمة "المدينة"، كان قلبه يرتجف.لكنه كان رجلًا لم يعرف شعور الخوف من شيء رآه بعينه، فلم يكن مألوفًا له أن يخاف، ولا اعتاد أن يشعر بالخجل. ولذا، لم يكن يحمل في قلبه تجاه المدينة سوى مشاعر العداء.

كان يقول في نفسه،وقد تملكه شعورا بالرضا والفخر: "ها أنا قد هاجمت مئات، بل آلاف المسافرين من المدينة، ولم يقف أحدهم في وجهي". ولم يكن في ذاكرته شيء يثير الخوف من

الخيانة أو الأذى، بل على العكس، كلما استحضر ماضيه، شعر بالراحة والاعتزاز.وكان دائمًا ما يقابل جمال المرأة بقوته، كما لو أن قوته هي الردّ الوحيد الممكن على جمالها. وفي احساسه بالفخر بقوته، لم يكن يرى خصمًا يستحق الحذر سوى الخنزير البري، ومع ذلك، لم يكن ذلك الحيوان في نظره عدوًا مرعبًا فعليًا، لذا كان يمضي واثقًا، مطمئنًا.

سألها قائلا: "هل في المدينة أناسٌ يملكون أنيابًا؟".

"هناك ساموراي يحملون الأقواس".

"هاهاها! أنا أُسقط عصفورًا من الضفة المقابلة للوادي، وما من أحد في المدينة جلده من الصلابة بحيث يكسر سيفي".

"هناك ساموراي يرتدون الدروع".

"وهل تنكسر السيوف على الدروع؟".

"نعم، تنكسر".

"أنا أُصرع الدببة والخنازير البرية بيدي، فما بالك بالبشر؟".

"إن كنت رجلًا قويًا بحق، فخذني إلى المدينة. وبقوتك، زيّنني بكل ما أشتهيه من زينة المدينة وروائعها، واملأ حياتي بفرحٍ حقيقي، يصل إلى أعماقي... حينها فقط، سأؤمن أنك حقًا رجل قوي".

"هذا أمرٌ هيّن".

عقد الرجل عزمه على الذهاب إلى المدينة. كان ينوي، في أقل من ثلاثة أيام وليالٍ، أن يُحيط المرأة بكل ما في المدينة من أمشاط ودبابيس وزينة وثياب ومرايا وأقلام الحُمرة، فيكدّسها حولها كما تشتهي.لم يكن في قلبه ما يقلقه... إلا أمرٌ واحد - لم يكن له أي علاقة بالمدينة.

إنها غابة أشجار الكرز...

كان موعد تفتّح الأزهار في غابة الكرز سيحلّ بعد يومين أو ثلاثة. وهذا العام، كان قد حسم أمره: سيجلس هناك، في قلب الغابة، حين تبلغ الأزهار ذروتها، ساكنًا لا يتحرك، ولو للحظة. كان يخرج كل يوم خفية ليتفقد الغابة، ويراقب نمو البراعم."ثلاثة أيام فقط" كان رده على المرأة التي كانت تلحّ عليه في الرحيل إلى المدينة.

"وهل لديك أي استعدادات تتطلب كل هذا الوقت؟" قالت وهي تعقِد حاجبيها. "لا تُماطلني، إن المدينة تناديني".

فأجابها: "ومع ذلك، لديّ وعد يجب أن أوفي به".

فقالت ساخرة: "أنت؟ ومن الذي يمكن أن يكون قد قطع معه وعدًا في هذا الجبل المقفر؟.

فأجاب مترددًا: "لا أحد بالتحديد... لكن، هناك وعد ".

فضحكت المرأة بسخرية: "ما أغرب هذا! لا أحد هنا، ومع من إذن قطعتَ هذا الوعد؟.

لم يعد الرجل قادرًا على الكذب.

قال: "أزهار الكرز ستتفتح".

"وهل قطعت وعدًا مع أزهار الكرز؟".

"بما أن الأزهار ستتفتح، عليّ أن أراها قبل أن أرحل".

"ولماذا؟".

"لأني لا بد أن أذهب وأتفقد ما تحت أشجار الكرز".

"ولكن لماذا يجب أن تذهب؟".

"لأن الأزهار ستتفتح".

"ولماذا يهمك أنها ستتفتح؟".

"لأن تحت الأزهار يهبّ نسيم بارد مشدودٌ في الهواء".

"تحت الأزهار؟".

"تحت الأزهار، لا يوجد حدّ، لا يوجد نهاية".

"لا نهاية؟".

ارتبك الرجل، وضاعت الكلمات منه.

"خذني معك إلى تحت الأزهار".

أجاب بحزم: "لا، لا يمكن".

"عليّ أن أكون وحدي هناك".

ابتسمت المرأة ابتسامة خفيفة، ساخرة.

كانت تلك المرة الأولى التي يرى فيها الرجل مثل هذه الابتسامةً الساخرة. لم يكن قد عرف من قبل مثل هذا النوع من الابتسامة الساخرة. ومع ذلك، لم يرَها على أنها سخرية خبيثة، بل كشيءٍ لا يُمكن قطعه حتى بالسيف. والدليل على ذلك، أن تلك الابتسامة الساخرة انطبعت في ذهنه كما يُطبع الختم على الورق، راسخة لا تزول. كانت، كلما تذكّرها، توخزه في رأسه كنصلٍ حاد. ومع ذلك، لم يكن بوسعه فعل أي شئ للتخلص منها.

وها قد حان اليوم الثالث.

خرج الرجل خفيةً في رحلته. كانت غابة الكرز في ذروة تفتّحها. وحين خطا خطوته الأولى داخلها، تذكّر ابتسامتها الساخرة المريرة. لكن هذه المرة، كانت أشدّ حدّة من أي وقت مضى، كأنها سيف يشقّ رأسه بشفرة دقيقة.ومنذ تلك اللحظة، انتابه شعور غامر بالارتباك فلم يعد قادرًا على التماسك. اندفعت البرودة التي تملأ المكان تحت الأزهار من الجهات الأربع بلا نهاية، كعاصفة تجتاحه دفعة واحدة.وفي لحظة، أحسّ أن جسده قد أصبح شفافًا، كأن الريح العاتية قد عصفت به حتى تلاشى.لم يبقَ شيء سوى الريح - متوترة، مشدودة، تمضي وتخترق من كل اتجاه. لم يكن في المكان إلا صوته، يصرخ وحده. ركض ثم ركض بكل ما أوتي من خوف.يا له من

فراغ مرعب!

بكى، وتوسّل، وتخبّط، وكل ما أراده هو الفرار.وحين أدرك أنه خرج من تحت الأزهار، شعر وكأنه استفاق من حلمٍ ثقيل.لكن ما جعل الأمر مختلفًا عن الحلم، هو الألم الحقيقي الذي كان يمزّق جسده، وأنفاسه المتقطعة التي بالكاد تبقِيه حيًّا.

★

بدأ الرجل والمرأة، ومعهما المرأة العرجاء، حياتهم في المدينة.

كان الرجل يتسلل كل ليلة إلى القصور التي تأمره بها المرأة، فيسرق منها أثواب الكيمونو، والحليّ، وأدوات الزينة. لكن تلك الأشياء لم تكن كافية لملء قلبها. فأكثر ما كانت المرأة ترغب فيه، وتشتاق إليه بشغف، هو رؤوس من يسكنون تلك البيوت.

سرعان ما أمتلأ بيتهما برؤوس سكان عشرات القصور. تم ترتيبها داخل غرفةٍ مقسّمة بستائر من الجهات الأربع، بعضها وُضع على الأرض، وبعضها عُلّق.

وكانت الرؤوس كثيرة لدرجة أن الرجل لم يعد يعرف أيّها لأيّ، أما المرأة، فقد كانت تحفظ كل رأس عن ظهر قلب. حتى بعدما تساقط شعرها، وتعفّن لحمها، وصارت عظامًا، كانت لا تزال تعرف إلى أي بيت تنتمي. وكلما نقل الرجل أو المرأة العرجاء رأسًا من مكانه، ثارت غاضبة، وصرخت: "هذا مكان

عائلة فلان، وذلك مكان عائلة فلان".

كانت المرأة تلهو كل يوم بالرؤوس. رأس يخرج في نزهةٍ برفقة خدَمه، ورأس يزور عائلة رأسٍ آخر. رؤوس تقع في الحب، رأس امرأة ترفض رأس رجل، وأحيانًا رأس رجل يهجر رأس امرأة، فيجعلها تبكي.

في أحد الليالي خُدِعت رأس الأميرة على يد رأس كبير المستشارين. فقد تسلل رأس المستشار في ليلةٍ بلا قمرإلى مخدع الأميرة، متقمصًا هيئة رأس حبيبها وربط بينهما عهد الأحباء. لكن بعد تلك الليلة، أدركت الأميرة الخدعة. ومع ذلك، لم تستطع أن تبغض رأس المستشار. فبكت، لا على خيانته، بل على قدرها الحزين، ثم قررت أن تصبح راهبة. فلحق بها رأس المستشار إلى المعبد، واعتدى عليها.حاولت الأميرة أن تنتحر، لكنها ما لبثت أن استسلمت لهمساته، وهربت من المعبد، لتختبئ في قرية "ياماشينا"، وتصبح محظيته. وهناك، بدأت تُنبت شعرها من جديد. لكن في الواقع، كان كلٌ من رأس الأميرة ورأس المستشار قد تساقط شعره، وتعفّن لحمه، وأصبحت الديدان تنخره، والعظام تلوح من تحته. مع ذلك، كانا يسكران معًا، ويتبادلان اللهو والغرام، تصطكّ عظام أسنانهما ببعضها، وتلتصق لحومهما المتعفّنة بصوتٍ رخوٍ لزج، وقد تفتتت أنوفهما وتفجّرت مقلتا أعينهما.

كانت المرأة كلما التصق وجها الرأسين المتعفنين ببعضهما

بتلك الأصوات الرخوة المبللة وبدأت ملامحهما بالتشوه والانهيار تقفز فرحًا، وتضحك بصخب هستيري .قالت وهي تتابع لعبتها المجنونة:

"هيا! التهم الخدا! آه، لذيذ جدًا! دعنا نأكل حنجرة الأميرة أيضًا! هيا، لا تنسَ العين... لنقضمها! أجل، أجل، لنرتشفها... ها! بلسانك، بلسانك! يا للذة! لا يُطاق هذا الطعم... هيا، انقضّ عليها!"

كانت المرأة تضحك ضحكة صافية، متقطعة كخشخشة.ضحكتها كانت جميلة، صافية كنغمةٍ بلورية، تشبه رنين خزفٍ رقيق حين يُقرَع بلطف.

كان هناك أيضًا رأس راهب بين تلك الرؤوس لكن المرأة كانت تكرهه بشدة، وكانت دائمًا تسند إليه أدوارًا شريرة كأن يتعرض للّعن، يُعذّب حتى الموت، أو يُعدم على يد رجال السلطة. وبعد أن قطعت الرأس بدأ ينبت عليه الشعر من جديد، ثم تساقط ذلك الشعر، وتعفّن، حتى لم يبقَ منه سوى العظم الأبيض.

وحين لم يتبقّ سوى جمجمة عارية، أمرت المرأة بأن يُؤتى لها برأس راهبٍ آخر. كان الرأس الجديد لا يزال يفيض بجمالٍ غضّ، فيه بقايا نضارة صبيٍّ صغير.فرحت به المرأة، ووضعت الرأس على مكتبها، وسقته الخمر، ودلّلته بملامسة وجنته، ثم قبلته ولعبت معه... لكنها سرعان ما ملّت منه. فأمرت الرجل قائلة: " أحضر لي رأس راهب أكثر بدانة"! فقد الرجل صبره،

وعاد وهو يعلّق خمسة رؤوس دفعةً واحدة.

كان من بينها رأس راهب طاعن في السنّ، يتهاوى كشيخ عليل، ورأس بملامح غليظة - حاجبان كثّيفان، وخدّان منتفخان، وأنف عريض كأن ضفدعًا التصق به. وكان هناك أيضًا رأس راهب بأذنين مدبّبتين كأذني حصان، وآخر بوجهٍ خشّع، غارق في التقى. لكن المرأة لم يعجبها من بين تلك الرؤوس سوى واحد فقط.

كان رأس راهب كبير، في الخمسين من عمره تقريبًا، دميم الملامح، تنحدر زوايا عينيه إلى الأسفل، ووجنتاه مترهلتان، وشفاهه غليظة تتدلّى، حتى بدا فمه مفتوحًا من ثقلها. راحت المرأة تضغط بأطراف أصابعها على زوايا عيني الرأس المترهلة، ترفعهما وتديرهما بحركات عبثية، ثم غرزت عصي في فتحتي أنفه العريض، ليقف رأسًا على عقب وتركته يتدحرج.ثم ضمّته إلى صدرها، وكأنها تُرضعه، وهي تقهقه ضاحكة بجنون .لكن، كما يحدث في كل مرة... سرعان ما ملّت.

كان هناك رأس لفتاة جميلة.رأس نقيّ، هادئ، ونبيل في ملامحه.فيه براءة الطفولة، لكن الموت أضفى عليه حزنًا ناضجًا على نحوٍ غريب.كان يبدو وكأن خلف الجفنين المطبقين تختبئ كل المشاعر دفعة واحدة - فرح الطفولة، وحزن الكبار، ونضج سابق لأوانه. أحبت المرأة ذلك الرأس كما لو كانت ابنتها أو أختها الصغيرة. كانت تمشّط لها شعرها

الأسود برفق، وتضع لها المساحيق على وجهها. وراحت تعتني بها بأدقّ التفاصيل، تصحّح وتعدّل، حتى أشرق وجه رقيق كأنه نُسِج من عبير الأزهار.

ولرأس تلك الفتاة، كان لا بد من رأس فتى يليق بها. زيّنته كما زينت وجه الفتاة، حتى بدا الرأسان وكأنهما عاشقان التقيا في ذروة شبابهما، في ربيعٍ لا يذبل. دارت بينهما لعبة الهوى - غيرة، فتور، خديعة، ومكر العشاق. كان أحدهما يتدلل، والآخر يتألم، هذا ينسحب، وذاك يتوسل. لكن حين تتقابل شرارة الرغبة في كليهما، تشتعل النار، وتلتصق العظام بالعظام، وتتعانق بقايا اللحم المتعفّن في رقصة عشق مجنون. لكن لم يمضِ وقت طويل حتى بدأت الرؤوس القبيحة تتدخّل - رأس لساموراي فاسد، وعجوز مولع بالنساء، وراهب منحرف.تقدّمت هذه الرؤوس من كل اتجاه، تنهال على رأس الفتى النبيل ضربًا وركلاً حتى أردته قتيلًا، ثم اندفعت من كل صوب نحو رأس الفتاة الجميلة. تلطّخ وجهها بلحمهم المتعفّن، عضّتها أنيابهم التي تشبه أسنان الذئاب، تشوّه أنفها، وانتُزع شعرها بعنف.وحين رأت المرأة ما حلّ بجمالها، غضبت بجنون، فأخذت تدسّ الإبر في رأس الفتاة، تثقب، تقطع، وتُمعن في تمزيقها بسكّين صغيرة، حتى حوّلتها إلى رأس مشوّه، مقزز، لا يُحتمل النظر إليه ثم رمتها جانبًا باحتقار.

كره الرجل المدينة.فما إن زالت دهشته من مظاهرها الغريبة، حتى لم يبقَ في قلبه سوى شعور بالاغتراب والضيق. صار

يرتدي زيّ "السويكان" كغيره، يمشي مكشوف الساقين، لكن دون أن يشعر بأنه واحدٌ منهم.لم يُسمح له أن يحمل سيفه في وضح النهار. كان يضطر إلى الذهاب بنفسه إلى السوق لشراء ما يحتاجه، وإذا ما شرب الخمر في حانة من حانات البغايا رخيصات الشأن - اللواتي يغمرن أعناقهن بطبقة من المسحوق الأبيض - فعليه أن يدفع الثمن. وكان تجار السوق يسخرون منه، وحتى نساء الأرياف اللواتي يبعن الخضار، وأطفالهن، يهزؤون به. بل حتى تلك البغايا كنّ يضحكن عليه بلا حياء. في المدينة، كان النبلاء يعبرون الشوارع بعرباتهم التي تجرّها الثيران، يسلكون منتصف الطريق بكبرياء لا يلتفتون فيه لأحد.وكان خدمهم، حفاة الأقدام بملابسهم الرسمية الفضفاضة، يسيرون خلفهم مترنحين، خدودهم محتقنة بخمر أسيادهم المجاني، يتبخترون ويتعالَون على المارة. أما هو، فكان يُقذف بالكلمات في كل مكان، في السوق، وفي الطرقات، وحتى في باحات وحدائق المعابد.أحمق!"، "بليد!"، "غبي!"، تنهمر عليه الإهانات كالرصاص، من كل صوب.لكن مع مرور الوقت، لم يعد شيء من ذلك يثير غضبه.

كان أكثر ما يعاني منه في هذه المدينة هو الملل كان يشرد ويفكر: "البشر... يا لهم من كائنات مملّة حقًا."لم يكن يحتملهم، كان يشبّه نفسه بكلبٍ ضخم يسير في صمت، في حين يتعالى نباح الكلاب الصغيرة أينما مرّ. هكذا كان الناس حوله... لا يفعلون شيئًا سوى النباح.لم يكن يطيق الغيرة، ولا الحسد، ولا

الضغينة، ولا حتى كثرة التفكير في أسرار وأمور الآخرين.كل ما يصدر عن البشر كان صخبًا بالنسبة له.

ثم خطر في باله، وكأنما يحنّ:"وحوش الجبل، الأشجار، الأنهار، والطيور... لم تكن يومًا بهذا الضجيج".

قال الرجل للمرأة العرجاء:

"أليست هذه المدينة مكانًا مملًّا؟ ألا ترغبين في العودة إلى الجبل؟".

فأجابته، دون أن تلتفت إليه:

"أنا لا أجد المدينة مملّة، بعكسك تمامًا".

كانت المرأة العرجاء تقضي يومها في الطهي والغسيل، تتحدث مع جاراتها، تضحك وتثرثر بلا كلل.

"طالما أستطيع أن أتكلم، فلا أشعر بالملل. الجبل هو ما كنت أكرهه... كان موحشًا".

قال متعجبًا:

"وهل الكلام لا يُشعرك بالملل؟".

"بكل تأكيد لا. من يتحدث لا يملّ".

"أما أنا، فكلما تكلمت، ازداد مللي".

"ذلك لأنك لا تتحدث بما يكفي".

"بل لا أتحدث، لأن الكلام هو ما يجعلني أشعر بالملل".

"جرّب أن تتكلم قليلًا. ستنسى الملل، صدّقني".

"أتكلم عن ماذا؟".

"عن أي شيء يخطر لك".

"لا شيء يخطر لي أصلاً".

قالها بضيق، ثم تثاءب، وكأنّه نادم على فتح الحديث من الأساس.

حتى في قلب المدينة، كانت هناك جبال.لكن قممها لم تكن كقمم الجبال التي إعتادها. بل شُيّدت عليها المعابد والصوامع، وصارت ملتقىً للناس، لا ملاذًا من زحمتهم.ومن أعالي تلك القمم، كانت المدينة تنبسط تحت عينيه دفعة واحدة - بحرًا من المنازل المتراكمة.

تمتم في نفسه، وهو يحدّق في الامتداد:

"يا لكثافة هذه المنازل... ويا لقبح هذا المشهد".

كان ينسى خلال يومه أنه يقتل الناس كل ليلة.نسيان لم يكن ناتجًا عن الغفلة، بل عن الملل، فقد سئم القتل كما يسأم المرء عادةً اعتادها. لم يعد يشعر بأي فضول أو رغبة، لم يكن في الأمر ما يثيره.ضربة واحدة من سيفه، ويسقط الرأس، بكل بساطة.الرؤوس كانت طريّة، لينة على غير ما توقّع - لا عظام

تقاوم، لا صلابة تُذكر، كأنما يقطع بها قطعة فجل. وما أدهشه حقًا كان الثقل غير المتوقّع للرأس الساقط.

بدأ يشعر، ولأول مرة، أنه يفهم ما يدور في ذهن المرأة.فها هو أحد الرهبان يضرب الجرس بجنون، كما لو أنه فقد اتزانه تمامًا."ما هذا الفعل السخيف؟" فكّر الرجل بازدراء.

هؤلاء الناس... لا يمكن التنبؤ بما سيفعلونه، لا منطق يربط تصرّفاتهم.وقال في نفسه: "لو كُتب لي أن أعيش بينهم، وجهًا لوجه، كل يوم... لأخترت أنا أيضًا أن أفصل رؤوسهم وأعيش معهم كقطعٍ بلا عقل، تمامًا كما تفعل هي".

لكنّ الرجل كان قد سئم حتى من شهوات المرأة... فلا نهاية لرغباتها، ولا راحة في جوارها.كانت رغباتها كطائرٍ يطير في خطٍ مستقيم في السماء، لا يعرف التوقّف ولا الراحة، ولا حتى الالتفات.ذلك الطائر لا يكلّ، لا يضعف، بل يشقّ الهواء برشاقة، يطير بخفة لا تعرف البطء، في حركة لا تنتهي.

أما هو فقد كان مجرد طائر عادي.يتنقّل من غصنٍ إلى غصن، وأقصى مغامرته أن يعبر واديًا من حين إلى آخر.كان أشبه ببومةٍ تغفو فوق أحد الفروع، لا تحلّق كثيرًا ولا تطير بعيدًا.كان سريع الحركة، خفيف الجسد، يتنقّل بخفة ويخطو بثقة. لكن قلبه... كان طائرًا ثقيل الجناحين، لا يهوى الطيران العالي ولا يطيقه.

لم يكن يتصوّر حتى أن يطير في خطٍّ مستقيم إلى ما لا

نهاية.

وقف الرجل على قمة الجبل، يحدّق في سماء المدينة الممتدة أمامه. طائر واحد كان يشقّ السماء في خطٍّ مستقيم لا ينحرف.النهار ينقلب إلى ليل، والليل يعود إلى نهار... تكرار لا ينتهي من الضوء والظلمة، يتبدلان بلا نهاية.ولا شيء في الأفق - لا حدّ، لا نهاية، سوى هذا التعاقب الأبدي بين النور والظلال.

لم يستطع الرجل أن يستوعب "اللانهاية" بوصفها واقعًا.راح يفكر في "الغد"، وفي اليوم الذي يليه، وفي الذي يليه أيضًا... سلسلة لا تنتهي من الأيام، من التكرار، من الضوء والظلام.شعر أن رأسه سينفجر - لا من التعب، بل من التفكير نفسه.

حين عاد إلى البيت، وجد المرأة غارقة كعادتها في لعبة الرؤوس، تلعب بها كما لو كانت تتنفس من خلالها. وما إن لمحته، حتى بدت كأنها كانت تنتظره بكل جوارحها.

قالت له : "الليلة... أريد رأس راقصة شيرابيوشي. لا أي رأس، بل رأس فاتنة، فائقة الجمال. سأجعلها ترقص، وسأغني لها أغاني الإمَايو القديمة، خصّيصًا لأجلك".

حاول الرجل أن يستحضر صورة السماء اللامتناهية التي كان يحدّق فيها قبل قليل من أعلى الجبل - تكرار النور والظلمة، ذلك الامتداد الذي لا يعرف نهاية. هذا المكان، هذه الغرفة، كان من المفترض أن تكون امتدادًا لذلك الفراغ الكوني.. لكنها لم تكن كذلك.لم يستطع أن يستدعي إحساسه بذلك

الاتساع.

المرأة أمامه لم تكن طائرًا يطير في خط مستقيم إلى الأبد، بل كانت هي.. هي نفسها، تلك المرأة الجميلة التي ألفها.ومع ذلك أجابها قائلا :"لا أريد أن أفعل ذلك".

تفاجأت المرأة من رده، ثم ما لبثت أن انفجرت ضاحكة.

"يا إلهي! هل أصابك الخوف أخيرًا؟ أنت أيضًا؟ لم تكن سوى جبان عادي إذًا".

فردّ، متماسكًا: "لستُ جبانًا".

"إذن ما الأمر؟".

"سئمت من الأمر ... فلا نهاية له".

ضحكت مجددًا وقالت:

"وهل هناك شيء في الحياة له نهاية؟ نأكل كل يوم، ولا نهاية للأكل. ننام كل ليلة، ولا نهاية للنوم".

"هذا مختلف".

"وما الفرق؟".

تلعثم الرجل، لم يجد جوابًا، لكنه كان واثقًا أن هناك فرقًا، وإن عجز عن شرحه.

وتحت ثقل عجزه، وتجنّبًا لوطأة أن تُحاصره بكلماتها، خرج

من البيت دون أن ينبس.

نادته من خلفه:

"لا تنسَ... رأس راقصة الشيرابيوشي!"

لكنه مضى دون أن يجيب.

راح يفكر: "ما الفرق؟ وما وجه الاختلاف؟" لكنّه لم يستطع الوصول إلى جواب. حلّ الليل ببطء، فصعد مجددًا إلى قمة الجبل. لكن السماء التي اعتاد رؤيتها، لم تعد مرئية - تلاشت في الظلمة.

ودون أن يدرك، بدأ يفكر بأن السماء ستسقط. كانت تهوي، بثقلٍ خانق. شعر وكأنها تضغط على عنقه... تخنقه. وكان ذلك الشعور، في جوهره، هو الرغبة في قتل المرأة.

ذلك التكرار الأبدي للضوء والظلمة في السماء يمكن إيقافه، فقط إذا قتل المرأة. وحينها، ستسقط السماء. وعندئذ، سيشعر بالراحة أخيرًا، سيهدأ. لكن قلبه كان مثقوبًا. ومن بين ضلوعه، طار طائرٌ صغير، كان يسكنه، واختفى في الفراغ دون أثر.

"هل كانت تلك المرأة... أنا؟وهل كان الطائر الذي يطير في خطٍ مستقيم عبر السماء، بلا نهاية... هو نفسي؟" راح يشكّ ويتساءل "إن قتلتها... فهل أكون قد قتلت نفسي؟ ما الذي أفكر فيه؟".

لم يعد يعرف لماذا عليه أن يُسقط السماء.كل فكرةٍ تخطر

بباله كانت تفلت منه كما لو أنها ضباب، لا يُمسك. وما بقي بعد انحسارها... لم يكن سوى الألم. أشرقت الشمس. ولم يعد لديه ما يكفي من الشجاعة ليعود إلى البيت... إلى تلك المرأة. فمضى، تائهًا في الجبل، أيامًا بلا وجهة.

في صباح يومٍ ما، فتح عينيه فوجد نفسه نائمًا تحت شجرة كرز.كانت شجرة واحدة فقط، لا غير - لكنها كانت في ذروة تفتّحها، أغصانها محمّلة بزهور ناصعة، تهتزّ في صمت الصباح.

قفز واقفًا، مندهشًا... لا ليفرّ، بل لأن المفاجأة أيقظت فيه شيئًا غريبًا. لم يكن ثمّة ما يستدعي الهرب فما هي إلا شجرة واحدة. وفجأة، تذكّر غابة الكرز في جبال "سوزوكا" .تلك الغابة التي كان يهرب منها دومًا. لابد أنها الآن أيضًا، في هذه اللحظة في ذروة تفتّحها. في تلك اللحظة غمره حنين لم يحتمله، نسي نفسه، وسكنت روحه في تأمل عميق، كما لو أنه ذاب في تلك الذكرى.

"سأعود إلى الجبل... نعم، إلى الجبل".

"لماذا نسيت أمرًا بسيطًا كهذا؟".

ولِمَ ظللتُ غارقًا في فكرة إسقاط السماء؟".

راوده شعور كمن استفاق من كابوسٍ طويل. شعور بالخلاص، بالخفة، بالنجاة. عاد إليه شعور بالإدراكٌ كان قد فقده. رائحة أوائل الربيع في الجبل، ذلك النسيم البارد، الصافي، النافذ في

الجسد والروح. ها هو الآن يشعر به من جديد، بقوة ووضوح لا لبس فيه. فنهض وعاد إلى المنزل.

استقبلته المرأة بوجهٍ مشرق. قالت له بلطف لم يعهده منها من قبل: "أين كنت طوال هذا الوقت؟

سامحني إن كنت قد أثقلت عليك، أو طلبت ما لا يُحتمل... لكن تخيّل فقط كم كنتُ وحيدة منذ أن غبتَ عني".

كانت كلماتها ناعمة، غير معتادة. شعور لم يعهده منها من قبل، تسلّل إلى قلبه، فأوجعه.

وكاد قراره أن ينهار، أن يذوب في دفء تلك اللحظة.لكنّه شدّ على قلبه، وقال لها بهدوء لا يخلو من الحزم: "قررت أن أعود إلى الجبل".

"وستتركني وحدي؟أي قسوة هذه سكنت قلبك؟ منذ متى صار يتملكك هذا البرود؟"

كانت عيناها تلمعان بالغضب، ووجهها يتلوّى من مرارة الخيانة.

"منذ متى صرت بلا قلب؟".

"قلت لك... أنا فقط لا أطيق المدينة".

"حتى وأنا هنا... ستتركني وتعود؟".

"أنا فقط لا أريد أن أعيش في هذه المدينة".

"لكنني هنا! هل صرت تكرهني؟ كنت في غيابك، لا أفكر إلا بك".

لمعت الدموع في عينيها ولعلها كانت أول مرة تسكن فيها الدموع مقلتيها. تلاشى الغضب من وجهها، وذابت حدّته في صمتٍ رقيق.كان وجهها يفيض بعتابٍ موجوع، لا من القسوة، بل من الجفاء.

"لكن... أنتِ لا تستطيعين العيش إلا في المدينة، أليس كذلك؟أما أنا، فلا أستطيع أن أعيش إلا في الجبل".

"وأنا... لا أستطيع العيش بدونك. أما زلت لا تفهم شعوري تجاهك؟".

"لكني... لا أستطيع البقاء في المدينة. الجبل هو مكاني".

"حسنا، إن كنت ستعود إلى الجبل فسأعود معك. حتى يومٌ واحد بدونك لا أستطيع أن أعيشه".

كانت عيناها تفيض بالدموع. دفنت وجهها في صدره، وسالت دموعها. كانت تلك الدموع بحرارتها تتسرّب إلى أعماق صدره.

نعم، لقد أصبحت المرأة عاجزة عن العيش من دونه.الرؤوس الجديدة التي كان يجلبها كانت نبض حياتها. ولم يكن هناك أحد سواه يأتي بها لأجلها.لقد صار جزءًا منها. ولم تكن لتتركه يمضي. وكان في قلبها يقينٌ بأنه حين يشبع من حنينه للجبل

سيعود معها إلى المدينة من جديد.

"لكن... هل تستطيعين حقًا أن تعيشي في الجبل؟"

"طالما كنتَ معي، أستطيع أن أعيش في أي مكان".

"لكن في الجبل... لن تجدي تلك الرؤوس التي تشتهينها".

"إن كان عليّ أن أختار بينك وبين الرؤوس... فسأتخلى عن الرؤوس".

ارتبك الرجل. بدأ يشكّ ما إذا كان يحلم؟ كان الفرح كبيرًا لدرجة أنه بدا غير قابل للتصديق. حتى في الأحلام، لم يتخيّل أن تُقال له مثل هذه كلمات.

امتلأ صدره بأملٍ جديد. أمل جاء بغتة، جارحًا في شدّته، قاطعًا ما بينه وبين كل ما كان يعانيه قبل لحظات. ذلك الألم، الذي كان يخنقه حتى وقت قريب، بات الآن بعيدًا.نسي المرأة التي لم تكن بهذا اللين أمس، نسي تقلباتها وقسوتها. لم يكن في قلبه مكان للماضي. كل ما بقي هو الآن، وما سيأتي غدا.

انطلق الاثنان على الفور. أما المرأة العرجاء، فقرّرا أن يتركاها خلفهما.وقبيل الرحيل، مالت المرأة إلى أذنها وهمست: "سأعود قريبًا... انتظريني".

★

تراءت له الجبال القديمة أمام عينيه، كما لو أنها تجيب النداء.

قرر أن يسلك الطريق القديم.ذاك الطريق، الذي ما عاد يطأه أحد، تلاشى أثره منذ زمن، ولم يبقَ منه إلا غابة عادية، وتلالٌ صامتة. لكن السير فيه يعني المرور تحت غابة أشجار الكرز.

"قالت له: "احملني على ظهرك فأنا لا أستطيع السير في هذه الجبال التي لم يبقَ فيها طريق".

فأجاب بهدوء: "طبعًا، لا بأس".

وحملها كما لو كانت خفيفة كنسمة، حينها، تذكّر اليوم الذي التقى فيه بها لأول مرة. في ذاك اليوم أيضا حملها على ظهره، وصعد بها الجبل من الجهة الأخرى من الممرّ. كان يومًا سعيدًا. لكن السعادة التي شعر بها الآن، كانت أعمق بكثير.

استرجعت المرأة أحداث أول لقاء بينهما قائلة: "في يوم لقائنا الأول... حملتني على ظهرك، أليس كذلك؟"

فأجابها، وصوته يفيض بهجة: "كنت أفكر في ذلك للتو".

"أنظري... هناك، تَرين؟ كل هذا ملكي الجبال، الوديان، الأشجار، الطيور، وحتى الغيوم.

ما أجمل الجبل! ألا يجعلكي هذا الأمر تشعرين بالرغبة في الجري؟ في المدينة، لم أشعر أبدًا بذلك".

"في يومنا الأول، جعلتك تحملتني على ظهرك وتركض بي، أليس كذلك؟".

"صحيح... أتذكّر أنني أرهقت جدًا، ورأسي دار من التعب".

لم يكن الرجل قد نسي أمرغابة الكرز حين كانت في ذروة تفتّحها. لكن، في هذا اليوم المغمور بالسعادة،ما الذي يمكن أن تعنيه تلك الأزهار، بكل بهائها، تحت ظلال ذلك الخوف القديم؟ فهولم يعد يخشاها.

ثم ظهرت غابة الكرز أمام عينيه. لقد كانت حقًا في ذروة تفتّحها. كانت الريح تهمس بين الأغصان، وتنثر بتلات الأزهار في هدوء، تتساقط هنا وهناك. وكانت الأرض كلها مفروشة بتلك البتلات كالبساط. تساءل في نفسه: "من أين تساقطت كل هذه البتلات؟". لأنّه حين رفع عينيه إلى السماء، رأى عناقيد الأزهار لا تزال مكتملة، متماسكة، لا تبدو كأن بتلة واحدة قد سقطت منها.

خطا الرجل تحت الأزهار المتفتّحة، وكلما تعمّق، ازداد الصمت من حوله. كان الهواء يبرد شيئًا فشيئًا، عندها، شعر بيد المرأة. كانت باردة... باردة على نحوٍ غريب. تسلّل الخوف إلى قلبه فجأة، لتنكشفت الحقيقة أمامه - المرأة... كانت شيطانًا. وفجأة، اندفعت ريح باردة من أعماق الغابة، تأتي من الجهات الأربع، تعصف بكل ما حولها تحت الأزهار المتفتّحة.

ما كان متشبثًا بظهره... لم تكن المرأة. بل كانت عجوزًا ذات رأس كبير، وبشرة أرجوانية، شعرها مجعّد، يتدلّى بلونٍ أخضر كالطحالب، وفمها مفتوح حتى الأذنين. ركض الرجل، ركض

بكل ما تملكه من رعب، حاول أن يهزّها عنه، أن يُسقطها. لكن يدي الشيطانة كانتا تتشبثا بعنقه، وكان الهواء يُسحب من رئتيه، وعيناه تغيبان عن الرؤية. وفي جنون اللحظة، جمع قواه كلها، وبكل ما تبقّى له من طاقة، أرغم أصابعها على التراخي، وسحب رقبته من بين قبضتيها الحديديتين. فانزلقت عن ظهره، وسقطت.

سقوطًا ثقيلاً، مكتومًا. وحينها حان دوره. انقضّ عليها. وأطبق يديه على عنقها. يضغط، ويضغط، ثم، فجأة، شعر بشيء يتغير. أدرك ما لم يرد أن يدركه: كان بين يديه عنق المرأة. وكانت، في تلك اللحظة قد فارقت الحياة.

غامت عيناه. حاول أن يفتحهما أكثر، أن يرى بوضوح لكن شيئًا لم يتغيّر. لأن ما كان أمامه هو جسد المرأة، نفسها، لم تتبدّل. ما خنقه، ما أسقطه، ما حسبه شبحًا أو شيطانًا كان منذ البداية...هي. هي ذاتها، ملقاة أمامه الآن جثة هامدة.

توقف عن التنفس. خارت قواه وفقد تركيزه كل شيء فيه انطفأ في لحظةٍ واحدة. وكانت بتلات الكرز قد بدأت تتساقط بصمتٍ، دون أن يلحظ، واحدة تلو الأخرى، على جسدها الهامد. هزّها. ناداها. ضمّها إلى صدره. لكن كل ذلك ذهب سُدى. لا استجابة... لا عودة.انفجر بالبكاء. بكاء حار، ربما للمرة الأولى منذ أن وطئت قدماه هذا الجبل. وحين عاد إليه وعيه، شيئًا فشيئًا، شعر ببرودة ناعمة على ظهره. وكانت البتلات البيضاء

تغطيه.

كان يقف تمامًا في قلب غابة أشجار الكرز. الأفق من الجهات الأربع تغمرتها الأزهار، ولم يعد في الإمكان أن يرى ما وراءها.الخوف الذي كان يسكنه كلما دخل هذه الغابة... قد اختفى.

القلق، الترقّب، الريح الباردة التي كانت تهبّ من أعماق الأزهار. لم يكن لشيءٍ من ذلك وجود.كل ما بقي هو صمت ناعم، وهمسات متطايرة من بتلات تتساقط بهدوء، تتناثر دون صوت، وهناك، تحت هذه الأزهار المتفتحة جلس - ولأول مرة - بهدوءٍ كامل. يمكنه البقاء على هذا الحال. فلم يعد هناك ما ينتظره. لم يعد له مكانٌ يعود إليه.

سرّ تفتّح أزهار الكرز في قلب الغابة لا أحد يعرفه حتى الآن. ربما، كان ذلك السرّ هو الوحدة نفسها. هو الآن لم يعد يخشى الوحدة لأنه ببساطة أصبح هو ذاته الوحدة.

لأول مرة، ألقى نظرة حوله. كانت الأزهار لا تزال فوقه بكامل تفتحها. وتحتها امتدّ الفراغ.

صامت، بلا حدود، والبتلات كانت لا تزال تهطل في همسٍ خافت، لا تثير ضجيجًا، وهذا فقط ما كان. لا سرّ خفي. لا شيء آخر.

وبعد بعض الوقت، شعر بشيءٍ واحد...دفء خفيف، حيّ،

لا يُشبه برودة الأزهار ولا سكون الفراغ من حوله. وسرعان ما أدرك أن ما يشعر به هو حزنه. تحت أزهار الكرز وفي قلب الفراغ البارد، بدأ دفء ذلك الحزن يتكشّف له.

مدّ يده ليرفع بتلةً عن وجهها. لكن، في اللحظة التي أوشكت يده أن تلامسها شعر بأن شيئًا ما قد تغيّر. نظر، فلم يجد سوى بتلات متراكمة. جسدها لم يعد هناك - اختفى، وكأنها لم تكن إلا أزهارا تتطاير في الريح. وحين حاول أن يزيل البتلات بيده، تلاشى هو أيضًا. يده، جسده، صوته. لم يبقَ شيء سوى البتلات وسكون بارد.

# تحت أشجار الكرز

**تعريف بالمؤلف :**

## كاجي موتوجيرو (1901-1932)

وُلد كاجي موتوجيرو في مدينة أوساكا مطلع القرن العشرين، في زمنٍ كانت فيه اليابان تعيش توتّرًا بين حداثةٍ غربية آخذة في الترسّخ، وماضٍ تقليدي يحاول البقاء. نشأته اتّسمت بالمرض والوهن، إذ أصيب مبكرًا بالسل، وهو المرض الذي سيظلّ يطارده حتى وفاته المبكرة في الحادية والثلاثين. هذا الوعي الدائم بقرب النهاية ترك بصمته العميقة على نصوصه، فأضحت كتاباته مشبعة بإحساس حاد بالفناء، ومشحونة بتأملات في الجمال والذبول، في الحياة والموت.

بدأ مسيرته الأدبية بنصوص قصيرة نُشرت في مجلات أدبية صغيرة، لكنها سرعان ما لفتت الانتباه إلى صوته المختلف. كان عمله الأشهر"檸檬 الليمونة " بمثابة بيانٍ جمالي يُعلن فيه نزعة التمرّد والبحث عن خلاصٍ فردي وسط عالم خانق. أما قصته القصيرة"桜の木の下には تحت أشجار الكرز "فقد حُفرت في ذاكرة الأدب الياباني بوصفها نصًا غريبًا ومكثّفًا، يمزج بين سحر الأزهار ورائحة الموت، بين البهاء والرعب، ليكشف عن رؤيته القائلة إن الجمال لا ينفصل عن تحلّل الجسد وفنائه. من أهم سماته الأدبية قدرته على جعل النصّ القصير فضاءً مفتوحًا للأسئلة الوجودية، وفي لغته التي تجمع بين عذوبة المشهد وظلاله القاتمة. فهو كاتب جعل من قِصر العمر

ووطأة المرض طاقة إبداعية تُفصح عن القلق الكامن في أعماق الجمال.

# تعريف بالعمل المترجم

تُعد قصة "تحت أشجار الكرز" للكاتب كاجي موتوجيرو من أبرز النصوص القصيرة في الأدب الياباني الحديث. فهي نصّ يتأرجح بين القصة القصيرة والقصيدة النثرية. يعتمد موتوجيرو في سرده على حوار داخلي يدور فيه حواربين "أنا" الراوي و"أنت" المستمع، في بناء سردي يضاعف من أثر الفكرة. وقد رسخت هذه القصة في الذاكرة الأدبية اليابانية بفضل جملتها الافتتاحية الصادمة" تحت أشجار الكرز ترقد جثث مدفونة "

ظهرت القصة لأول مرة في العدد الثاني من المجلة الأدبية الفصلية"الشعر والنقد" عام 1928، ثم جُمعت بعد ذلك في مجموعة "الليمون" الصادرة عام 1931، قبل رحيل الكاتب بعام واحد فقط، ضمن مجموعة قصص أخرى. ومنذ ذلك الحين تُرجمت إلى عدة لغات منها الإنجليزية، والفرنسية، والألمانية.

تضعنا القصة أمام مشهد أزهار الكرز المتفتحة بكامل بهائها، في صورة أخّاذة نابضة بالحياة كأنها هالة مضيئة، لكنها تثير في الوقت ذاته قلقًا غامضًا. وهنا يتخيل الراوي أن سر هذا الجمال يكمن في الجثث المدفونة تحت الأشجار، تتغذى الجذور على سوائل تحللها. ومن خلال مشاهد أخرى كحياة وموت الحشرات ذات الأجنحة الرقيقة، ورمز شفرة الحلاقة

بوصفها علامة على المأساة، يرسم النص لوحة متشابكة يتقاطع فيها جمال الحياة مع قسوة الفناء، ليجد الراوي في النهاية توازنًا نفسيًا يحرره من الغموض الذي أقلقه.

جدير بالذكر أن النسخة الأولى من القصة كانت مؤلفة من أربعة مقاطع، لكن عند نشرها في مجموعة "الليمون" حُذف الفصل الأخير الذي كان يكمّل قصة "شفرة الحلاقة"، دون أن يُعرَف السبب وراء هذا الحذف. ذلك المقطع كان يرسم صورة مرعبة لشفرة حلاقة تنقضّ على عنق الراوي كأفعى طائرة، مكتوب عليه "Ever Ready" أي "أنا مستعد في أي لحظة".

استوحى موتوجيرو هذه الرؤية أثناء إقامته في يوجاشيما بإيزو بين عامي 1926 و1928 للعلاج من مرضه. هناك استطاع التواصل مع الطبيعة الأخاذة المحيطة به الأمر الذي دفعه للتأمل في مشاهد الحياة والموت التي تتكرر أمامة في الطبيعة. وعلى الرغم من أن نص القصة قصير ومختزل إلا أنها تُعد من أهم أعمال موتوجيرو، فكما ذكرنا من قبل أن جملته الشهيرة " تحت أشجار الكرز ترقد جثث مدفونة " كانت كافية لتقويض الصورة النقية التي ارتبطت تقليديًا بأزهار الكرز، وإحلال صورة جديدة تمزج بين "الجمال" و"القبح"، "الحياة" و"الموت".

تحت أشجار الكرز ترقد جثث مدفونة!

هذه حقيقة يجدر بك أن تصدّقها. ولمَ لا؟ أليس من العسير تصديق أن تتفتح أزهار الكرز بكل ذلك الجمال الفاتن؟ لقد عشت طيلة اليومين أو الثلاثة الماضية في قلق واضطراب، عاجزًا عن استيعاب مثل هذا الجمال. لكن الآن، أخيرًا، جاءت اللحظة التي انكشف لي فيها السر: تحت أشجار الكرز ترقد جثث مدفونة، وهذه حقيقة يمكن الإيمان بها.

لماذا، يا ترى، في طريقي عائدًا كل ليلة، يخطر ببالي – من بين كل الأدوات المتراكمة في غرفتي – ذلك الشيء الصغير الرقيق، شفرة الحلاقة، كما لو كانت رؤيا تتجلّى لعراف؟ لقد قلتَ إنك لا تعرف سبب ذلك، وأنا كذلك لا أعرفه. ومع ذلك، فأنا على يقين بأن كليهما – أزهار الكرز وشفرة الحلاقة – من جوهر واحد.

مهما اختلفت الأشجار، فما إن تبلغ أزهارها ذروة تفتحها حتى تنثر في الأجواء هالة غامرة يشوبها السحر والغموض، كأنها لعبة البلبل حين تبلغ كمال دورانها فتسكن في صمتٍ مهيب، أو لحنٌ بارع يرافقه ظلّ من الهلوسة، أو هالة ضوء تتوهج بإيحاءات التزاوج الملتهب. إنه جمال عجيب يأسر القلب، فلا يسعك إلا أن تنقاد له طائعًا، مستسلمًا لسحره.

لكن ما أثقل قلبي بالكآبة البارحة وأول أمس كان هو ذلك الجمال ذاته. فقد خُيّل إليّ أن جماله ضربٌ من الوهم الذي

يصعب تصديقه، فإذا بي على النقيض يسيطر علي القلقِ، وتغشاني كآبة موحشة ويملؤني فراغ. غير أنّني، الآن فقط، أدركت الحقيقة.

تخيّل معي، أن تحت هذه الأشجار التي تغطيها الأزهار المتفتحة، ترقد جثثًا مدفونةً واحدةً تلو الأخرى. عندها فقط ستدرك، بلا شك، ما الذي كان يبعث في نفسي كل ذلك القلق والوحشة.

جثث تشبه جثث الخيول، وأخرى كالكلاب والقطط، وأخرى بشرية، كلها قد تعفّنت وتفشّت فيها الديدان، تفوح منها روائح لا تُحتمل، ومع ذلك تقطر سائلًا صافياً كالكريستال. وجذور أشجار الكرز، كأذرع أخطبوط شره، تحتضنها، وتجمع شعيراتها الجذرية مثل مخالب شقائق النعمان البحرية، لتمتص ذلك السائل.

أيّ شيء يصنع مثل تلك البتلات، وأيّ شيء يكوّن مثل تلك المدقات؟(1) أكاد أرى ذلك السائل الكريستالي، تمتصه الشعيرات الجذرية، يصعد في هدوء كموكب صامت، متسللًا عبر تلك الأوعية، أشبه بالحلم.

مالي أراك عابسًا؟ أليس هذا مشهدًا خلابًا؟ لقد صرت الآن قادرًا على تأمل أزهار الكرز، بعدما تحررت من ذلك الغموض الذي ظلّ يؤرقني طيلة الآيام السابقة.

منذ بضعة أيام، هبطت إلى هذا الوادي متحسّسًا خطواتي

بين الصخور. ومن بين رذاذ الماء المتطاير، من هنا وهناك، أبصرت حشراتٍ رقيقة الأجنحة تولد كما لو كانت أفروديت ذاتها، ثم ترتفع محلّقة نحو فضاء الوادي. فها هي هناك- كما تعلم- تتزاوج في عرسها البهي. واصلت السير وبعد قليل من الوقت صادفت شيئًا غريبًا. كان هناك بقعة من الوادي جفّ ماؤها، ولم يبقَ سوى بركة صغيرة. وعلى سطحها كان يطفو بريق لامع، كأن طبقة من النفط قد انسكبت فوق الماء. أتدري ما كان ذلك؟ لقد كان جثثًا لا يُحصى عددها من تلك الحشرات ذات الأجنحة الرقيقة. كانت أجنحتها المتداخلة تغطي سطح الماء، منكمشة تحت الضوء، تعكس لمعانًا يشبه بريق الزيت. هناك، في ذلك المكان، كان مثواها الأخير بعد أن أنهت وضع بيضها.

حين أبصرت ذلك المشهد، شعرت كما لو أن شيئ ما اخترق صدري، وتسللت إلى نفسي نشوةٌ وحشية، كنشوةِ شاذٍّ ينبش القبور ليتذوّق موتاها.

لا شيء في هذا الوادي يبعث في نفسي الفرح. لا طائر العندليب، ولا طائر القرقف، ولا حتى البراعم الفتية التي يجلّلها بياض الشمس فتضفي على الخضرة زرقةً ضبابية، كل ذلك لا يعدو أن يكون صورًا باهتة في ذهني. إنني بحاجة إلى مأساة، فبذلك وحده يستقيم التوازن، وبه وحده تتضح معالمي النفسية. إن قلبي يظمأ إلى الكآبة ظمأ الشيطان، ولا يهدأ لي خاطر إلا حين تبلغ الكآبة تمامها.

أراك تمسح عرق إبطيك... هل يتصبب منك العرق البارد؟ وأنا أيضا. ولكن لا تجعل من ذلك أمرًا يبعث على الضيق. تخيّله كسائل لزج، وعندها ستكتمل كآبتنا نحن الأثنين.

آآه... تحت أشجار الكرز ترقد جثث مدفونة!

تلك الجثث... لا أدري من أين طافت إلى خيالي، ولكنها الآن قد التصقت بأشجار الكرز حتى غدت جزءًا منها، لا تفارقها ولا تفارقني مهما حاولت أن أزيحها من تفكيري.

والآن فقط أشعر أن لي الحق، مثل أولئك القرويين الذين يقيمون الولائم تحت أشجار الكرز، أن أرفع كأسي وأشرب محتفلا تحت أشجار الكرز.

# مختارات من أشعار أزهار الكرز في مجموعة "كوكين واكاشو"

# أشعار أزهار الكرز في مجموعة

## "كوكين واكاشو古今和歌集"

لم تكن زهرة الكرز، في بدايات حضورها في الشعر الياباني، تحتل المكانة التي عُرفت بها لاحقًا؛ فقد سبقتها زهرة المشمش "أومى«梅»" في قلوب النبلاء والمثقفين، بوصفها زهرة وافدة ارتبطت بالشعر الصيني الكلاسيكي، وانتقلت إلى اليابان مع موجة التأثر بالحضارة الصينية. ومنذ القرن الثامن، وخصوصًا في فترة نارا، شاع التغني بها حتى صار لفظ "هانا(花)" أي الزهرة في أشعار تلك الحقبة، كما في مجموعة أشعار "مانيوشو万葉集"يشير في الغالب إلى زهرة المشمش، بينما لم تتجاوز قصائد زهرة الكرزنسبة ضئيلة من مجمل الشعر الغنائي آنذاك.

لكن مع مطلع فترة هييآن، تغيّر المشهد الشعري والثقافي. فقد أوقفت البعثات إلى الصين نحو عام 894م، فانفتح الطريق أمام ازدهار الثقافة اليابانية الأصيلة، أو ما عُرف بالثقافة القومية، التي جعلت من زهرة الكرز رمزًا للجمال والهوية اليابانية. وارتفعت مكانتها في وجدان الشعراء حتى انعكس ذلك بوضوح في المجموعات الشعرية الكبرى؛ ففي مجموعة "كوكين واكاشو古今和歌集" التي جُمعت في أوائل القرن العاشر وتعني (مجموعة قصائد يابانية من العصور القديمة والحديثة)، بلغت قصائد أزهار الكرز أكثر من ثلاثة

أضعاف قصائد أزهار المشمش، في تحول لافت يكشف عن شغف جديد بالتغني بجمالها، سواء في لحظة تفتحها المبهج أو في مشهد تساقط بتلاتها الرقيق الذي يضفي عليها مسحة من الفناء الجميل.

وعلى الرغم من أن بعض قصائد "كوكين واكاشو" اكتفت بذكر لفظ "هانا(花)" أي "زهرة" للدلالة على زهرة الكرز، فإن هذا الجزء من العمل سيركز على ترجمة القصائد التي ورد فيها لفظ "ساكورا(桜) " صراحة، باعتبارها الشاهد الأوضح على هذا التحول الثقافي والجمالي في أدب فترة هييآن.

**تعريف بالمجموعة الشعرية :**

يُعَد "كوكين واكاشو (古今和歌集)" ويُعرف أيضًا باسم"كوكين شو" من أهم دواوين الشعر الياباني وقد جُمِعَ بأمر من الإمبراطور دايگو في أوائل القرن العاشر الميلادي (905م). ويحتل هذا الديوان مكانة مرموقة في تاريخ الأدب الياباني، إذ يُعَدُّ فاتحة لما عُرف لاحقًا بـ"المختارات الشعرية الإمبراطورية (تشوكوسينواكاشو勅撰和歌集)" وقد جمعه وأشرف على ترتيبه أربعة من أبرز شعراء البلاط في تلك الفترة، كان على رأسهم"كينو تسورايوكي (紀貫之)". يتضمن الديوان ما يقارب 1111 قصيدة من نوع الواكا (和歌)، وهو الشكل الشعري التقليدي المكوَّن من 31 مقطعًا صوتيًا (5-7-5-7-7). وقد جُمِعت هذه القصائد من نتاج شعراء البلاط على امتداد حقب سابقة، ورتبت وفق موضوعات محددة تعكس الذوق الجمالي والفكري للعصر.

**تنقسم محتويات "كوكين واكاشو" إلى عشرين مجلد، كل منها مخصص لموضوع شعري معين أو أكثر، على النحو التالي:**

1. الربيع (المجلد 1 والمجلد 2) – يضم قصائد تصف تفتّح الأزهار، وعلى رأسها أزهار الكرز، وأجواء الربيع البهيجة.

2. الصيف (المجلد 3) – يصوّر دفء الشمس وألوان الطبيعة في أوجها.

3. الخريف (المجلد 4 والمجلد 5) – يفيض بوصف أوراق القيقب الحمراء وأجواء الحنين.

4. الشتاء (المجلد 6) – يلتقط برودة الثلوج وصمت الطبيعة.

5. التهاني والمناسبات الاحتفالية (المجلد 7) – يتناول أفراح البلاط والأعياد.

6. الفراق (المجلد 8 والمجلد 9) – قصائد عن وداع الأحبة وألم الغياب.

7. الرحلات (المجلد 10) – مشاهد السفر وما يرافقه من مشاعر.

8. المراثي (المجلد 11) – في رثاء الراحلين والتعبير عن الحزن.

9. الحب (المجلد 12 إلى المجلد 15) – أربعة مجلدات ترسم أطوار الحب من اللقاء إلى الفراق.

10. أشكال متفرقة (المجلد 16 والمجلد 17) – في موضوعات متنوعة خارج التصنيفات السابقة.

11. القصائد اليابانية على الطراز الصيني (和歌漢詩体) (المجلد 18) – تجمع بين الأسلوبين الياباني والصيني.

12. القصائد المقدمة إلى الإمبراطور (المجلد 19) – نظمها الشعراء لإهدائها إلى العرش.

13. القصائد المتفرقة الأخيرة (المجلد 20) – قصائد لا تندرج تحت أي باب سابق.

# أزهار الكرز في "كوكين واكاشو"

في "كوكين واكاشو"، تحتل أزهار الكرز مكانة خاصة بين أزهار الربيع، فهي ليست مجرد مشهد طبيعي يتكرر كل عام، بل رمز محوري تختزن فيه القصائد مشاعر البهجة العابرة والحزن الكامن معًا. عند تناول أزهار الكرز، يمزج شعراء هييان بين الاحتفاء بجمال تفتحها ووعيهم بفنائها القريب، فيغدو المشهد احتفالًا مؤقتًا بالحياة ودرسًا خفيًا في تقبّل زوالها.

تظهر معظم قصائد أزهار الكرز في مجلدي الربيع بوصفها ذروة فصل الزهور، وغالبًا ما تُصوَّر وقد غمرت الفضاء ببياضها الوردي حتى بدت وكأنها سحابة هبطت إلى الأرض.

غير أن هذا البهاء يقترن في الوعي الشعري بمشاعر القلق من الرياح التي قد تذرّيها أو المطر الذي قد يثقل بتلاتها ويسقطها. هذا التوتر بين اللمعان اللحظي والاندثار الوشيك هو ما يمنح قصائد أزهار الكرز في الديوان عمقها العاطفي وفرادتها الفنية.

كما أن تناول أزهار الكرز في "كوكين واكاشو" لا ينفصل عن سياق البلاط الإمبراطوري، حيث كانت حفلات الهانامي (مشاهدة الأزهار) فرصة لتبادل القصائد بين النبلاء، فيستحضر الشاعر المشهد أمامه، ويجعل منه لوحة لفظية تُهدي إلى الحاضرين أو تُرسل إلى غائب بعيد. بذلك، تصبح أزهار الكرز في الديوان نقطة التقاء بين الطبيعة والفن، بين التجربة الفردية والذاكرة الجماعية.

الجدير بالذكر أيضًا أنّ قصائد أزهار الكرز في "كوكين واكاشو" تضم قصائد تتغنّى بالأزهار المتفتحة وأخرى تحتفي بالأزهار المتساقطة، غير أنّ قصائد الأزهار المتساقطة تتفوق عددًا على تلك التي تصف التفتّح، ولا سيما في المجلد الثاني، حيث تكاد جميع قصائده عن أزهار الكرز تنحصر في وصف تساقطها. بل حتى القصائد التي تتضمن التعبير"さくらさくら"أي تفتح أزهار الكرز، ترى في التفتّح لحظة عابرة تنتهي سريعًا بالسقوط. كما أنّ هذه الأشعار لم تكتفِ برسم صورة الأزهار في عزلة، بل ربطتها بعناصر الطبيعة الأخرى كالرياح والمطر والضباب، وربطتها كذلك بالمشاعر الإنسانية العميقة، إذ شبّهت الأزهار بالقلب أو بالدموع، فغدت أزهار الكرز مرآة للإنسان والطبيعة معًا، وسببًا في تعميق إحساسه بجمال الحياة وزوالها في آن واحد.

وعليه، فإن الترجمة المقدَّمة هنا لا تقوم على ترتيب القصائد وفق تسلسلها الأصلي في المجموعة الشعرية، بل على تصنيف الأمثلة بحسب ارتباط أزهار الكرز بعناصر الطبيعة من جهة، أو بالمشاعر الإنسانية من جهة أخرى. كما أن هذه الترجمة لا تشمل جميع القصائد الواردة في المجموعة الشعرية حول أزهار الكرز، وإنما تقدم رؤية إجمالية لصورة هذه الأزهار في إطارها الكلاسيكي.

ومن هنا، سنمضي معًا عبر هذه المختارات إلى عالم أزهار

الكرز كما رآها شعراء ذلك العصر، لنتتبع في قصائدهم ربيع أزهار الكرز، ونصغي لما أودعته في وجدانهم من أثر.

**القصيدة 51 (المجلد الأول – الربيع: القسم الأول)**

**الشاعر: غير معروف**

**سياق نظم القصيدة: غير معروف**

やまざくら

わが見にくれば

春霞

峰にも尾にも

立ちかくしつつ

يا أزهار الكرز الجبلية

قد جئتُ أطلب رؤياك

لكن ضباب الربيع أبى

فراح يغشى القمم

ويحجبك عن عيني.

**القصيدة 69 (المجلد الثاني – الربيع: القسم الثاني)**

**الشاعر: غير معروف**

**سياق نظم القصيدة: غير معروف**

春霞

たなびく山の

さくら花

うつろはむとや

色かわりゆく

من بين ضباب الربيع،

فوق الجبال البعيدة،

تُغيّر أزهار الكرز لونها،

كأنها تودّعنا،

وتعلن رحيلها.

كلٌّ من القصيدتين 51 و69 تُظهران كيف ارتبطت صورة أزهار الكرز بضباب الربيع في" كوكين واكاشو". ففي القصيدة 51 يحجب الضباب الأزهار الجبلية عن عيون الناظرين، وكأن الطبيعة تخفي جمالها وراء ستار رقيق، بينما في القصيدة 69 يلوح مشهد آخر حيث الأزهار نفسها تتبدل ألوانها وتميل إلى الذبول، في إطار يلفّه الضباب. هذا التلاقي بين الساكورا وضباب الربيع يرسم صورًا مشبعة بالغموض والجمال معًا، حيث يعمل الضباب كخلفية تزيد من إحساس التلاشي والزوال. ومن الجدير بالذكر أن هناك مزيدًا من القصائد التي نسجت نفس العلاقة بين أزهار الكرز وضباب الربيع مثل

قصائد رقم 58، 79، 91، 94، 102، 103، وغيرهم.

**القصيدة 53 (المجلد الأول – الربيع: القسم الأول)**

**الشاعر: أريوارا نو ناريهيرا**

**سياق نظم القصيدة: نُظمت عند مشاهدة أزهار الكرز في قصر (نَكيسا نو إين).**

世中に

たえてさくらの

なかりせば

春の心は

のどけからまし

لو لم يكن، في هذا العالم،

أثرٌ لأزهار الكرز،

لظلَّ قلبُ الربيع،

ساكنًا مطمئنًّا.

**القصيدة 84 (المجلد الثاني – الربيع: القسم الثاني)**

**الشاعر: كي نو تومونوري**

**سياق نظم القصيدة: التأمل في تساقط أزهار الكرز.**

久方の

ひかりのどけき

春の日に

しづ心なく

花のちるらむ

في سماءٍ مشرقة،

ويومِ ربيعٍ هادئ،

كيف لأزهار الكرز

أن تتساقط

بقلبٍ مضطرب؟

**القصيدة 832 (المجلد السادس عشر – قصائد الرثاء)**

**الشاعر: فوجيوارا نو أوكِيكازي**

**سياق نظم القصيدة: عند وفاة فوجيوارا نو موتوتسونه**

深草の

野辺の桜し

心あらば

今年ばかりは

墨染めに咲け

يا أزهار الكرز،

في سهول فوكاكوسا،

إن كان لك قلب،

فلتزهري هذا العام

بأزهارٍ يغطيها السواد.

في قصيدة 53 تُؤخذ عبارة "قلب الربيع" بوصفها تشخيصًا للربيع نفسه، بينما هناك أيضًا قراءة أخرى تفسّر عبارة "قلب الربيع" على أنه قلب الإنسان الذي يشهد فصل الربيع، فيضطرب بفعل جمال أزهار الكرز وزوالها السريع. أما في القصيدة 84، فتُفهم عبارة "心づし شيزُ-غوكورو"بوصفها تشخيصًا لأزهار الكرز، إذ صُوِّرت وكأنها تفتقر إلى قلب ثابت، فتتناثر بتقلّب وعدم استقرار. والقصيدة تزداد أهمية لكونها حاضرة أيضًا في مجموعة "مئة شاعر ومئة قصيدة (百人一首) "كواحدة من أشهر قصائد أزهار الكرز. وفي القصيدة 832 (المجلد السادس عشر – قصائد الرثاء)، يبلغ هذا التشخيص ذروته، إذ يُخاطب الشاعر أزهار الكرز في سهول فوكاكوسا قائلاً: إن كان لكِ قلب، فلتزهري هذا العام بأزهارٍ يعلوها السواد الجنائزي تعبيرًا عن الحزن على رحيل فوجيوارا نو موتوتسونه.

وهكذا يتجلى كيف تحوّلت أزهار الكرز في كوكين واكاشو إلى

كائن شعوري يُسقِط عليه الشاعر مشاعر القلق أو الاضطراب أو الحداد.

**القصيدة 60 (المجلد الأول – الربيع: القسم الأول)**

**الشاعر: كي نو تومونوري (紀友則)**

**سياق نظم القصيدة: من أشعار مسابقة الأشعار التي أقيمت في البلاط الإمبراطوري عهد كانبيه (889–898م) (寛平御時きさいの宮の歌合).**

三吉野の

山へにさける

さくら花

雪かとのみぞ

あやまたれける

بعيدًا،

على سفوح جبال مي يوشينو،

تتلألأ أزهار الكرز،

حتى خُيِّل للناظرين

أنها ثلوج بيضاء متساقطة.

**القصيدة 75 (المجلد الثاني – الربيع: القسم الثاني)**

**الشاعر: الكاهن سوكو**

**سياق نظم القصيدة: عند رؤية أزهار الكرز المتساقطة في معبد أونرين-إن (雲林院).**

桜ちる

花の所は

春ながら

雪ぞ降りつつ

消えがてにする

حيث تتساقط،

أزهار الكرز في فصل الربيع،

يخيَّل للناظر،

أنها ثلوج ناصعة، لا تذوب أبدًا.

**القصيدة 86 (المجلد الثاني – الربيع: القسم الثاني)**

**الشاعر: بونكاواشي نو ميتسوني (凡河内躬恒)**

**سياق نظم القصيدة: عند تأمل تساقط أزهار الكرز.**

雪とのみ

ふるだにあるを

さくら花

いかに散れとか

風の吹くらむ

ما بالُ الرياح تهبّ،

لتبعثر بتلات الكرز،

فتتساقط،

واحدةً تلو الأخرى،

كالثلج المنهمر.

تكشف هذه القصائد الثلاث عن تبلور صورة جمالية متكررة في كوكين واكاشو، هي صورة أزهار الكرز وقد التبست بالثلج. ففي القصيدة 60، تُرى الأزهار المتفتحة على جبال يوشينو كأنها ثلوج بيضاء نازلة على السفوح، في مشهد يذيب الحدود بين الربيع والشتاء. وفي القصيدة 75، يوصف المكان الذي تتساقط فيه الأزهار بأنه ربيع ممتزج بالثلج؛ فهي تهطل مثل الثلج، لكنها لا تذوب سريعًا. أما في القصيدة 86، فالتشبيه يتخذ بعدًا وجدانيًا أعمق: الأزهار تتساقط كما الثلج، غير أن الريح، وهي قوة لا سلطان للإنسان عليها، تدفعها إلى الذبول والتبعثر رغم الرغبة في بقاء جمالها. الجدير بالذكر أن القصائد

اللي ربطت بين تساقط أزهار الكرز والرياح تعددت داخل المجموعة الشعرية ومنها أيضا القصائد التالية.

**القصيدة 89 (المجلد الثاني – الربيع: القسم الثاني)**

**الشاعر: كي نو تسورايوكي (紀貫之)**

**سياق نظم القصيدة: من أشعار مسابقة تيجيين (亭子院歌合).**

さくら花

ちりぬる風の

なこりには

水なき空に

浪ぞたちける

ها هي الرياح تهبّ،

تسقط بتلات الكرز،

تبعثرها هنا وهناك،

كأمواج مرتفعة، في سماءٍ بلا ماء.

**القصيدة 394 (المجلد الثامن – قصائد في مناسبات مختلفة)**

الشاعر: الكاهن الكبير هِنجو

سياق نظم القصيدة : عند عودته من حضور احتفال شاري-إي (舎利会) للأمير أريموي، وبينما وقف تحت أزهار الكرز في الجبل.

山かせに

さくらふきまき

みだれなむ

花のまきれに

たちとまるべく

يا ليتَ الرياح تهبّ، تُسقِط بتلات الكرز،

وتبعثرها في السماء، فيغدو أسيرًا،

بين زوبعة الزهور.

نجد في القصيدة 89 يصوّر الشاعر كيف تهب الرياح فتسقط بتلات الكرز، فتتناثر في الفضاء كأنها أمواجٌ مرتفعة في سماء بلا ماء؛ صورة تُحوّل سقوط الأزهار إلى مشهد كوني يمزج بين البحر والسماء. أما في القصيدة 394 فيرسم الكاهن الكبير هِنجو صورة الرياح وهي تقتلع البتلات وتبعثرها في الهواء، حتى يغدو الناظر إليها كأنه أسير وسط زوبعة من الزهور. هكذا ارتبطت أزهار الكرز بالرياح التي تُعجّل بتساقطها، وبحركة

الموج التي شبّهت بها البتلات المتناثرة، ليغدو مشهد السقوط تعبيرًا عن قوة الطبيعة وعن هشاشة الجمال العابر.

**القصيدة 88 (المجلد الثاني – الربيع: القسم الثاني)**

**الشاعر: أوتومو نو كورونوشي**

**سياق نظم القصيدة: غير معروف**

春雨の

ふるは涙か

さくら花

ちるををしまぬ

人しなければ

أهي أمطارُ الربيع،

أم دموع ؟

فما من أحد،

لا يأسى

لتساقط أزهار الكرز.

في هذه القصيدة يعبّر الشاعر عن الحزن لزوال أزهار الكرز، حيث يقارن بين أمطار الربيع والدموع الغزيرة، مؤكدًا أنه لا

أحد يخلو قلبه من الأسى عند رؤية البتلات تتساقط. ومن خلال مراجعة القصائد السابقة، يتضح أن هناك العديد من أشعار الكرز في كوكين واكاشو تتغنى بالمشهد المؤثر لأزهار الكرزالمتساقطة، وهو ما يميز صورة أزهار الكرز في هذه المجموعة. ويرتبط ذلك بقصر موسم تفتح أزهار الكرز وسرعة زوالها، مما يضاعف الإحساس بالحزن عند تساقطها. وهذا يفسر وجود بعض القصائد التي تغنّت بقطع أغصان الكرز وإهدائها لمن لم تتح له فرصة رؤيتها، أو بالاحتفاظ بها كتذكارٍ عابر للحظة الجمال قبل زوالها.

**القصيدة 54 (المجلد الأول – الربيع: القسم الأول)**

**الشاعر: غير معروف**

**سياق نظم القصيدة: غير معروف**

いしはしる

たきなくもかな

桜花

たをりてもこむ

見ぬ人のため

ليتَ المياه الجارية،

فوق الصخور تهدأ،

فأقطف غصنًا

من أزهار الكرز،

أهديه لمن لم يَرَها.

**القصيدة 55 (المجلد الأول – الربيع: القسم الأول)**

**الشاعر: الكاهن سوسيي**

**سياق نظم القصيدة: عند رؤية أزهار الكرز في الجبل.**

見てのみや

人にかたらむ

さくら花

てことにをりて

いへつとにせむ

أأكتفي فقط،

بأن أحكي للناس ما رأته عيني؟

بل سأقطف غصنًا

من أزهار الكرز،

وأحمله هديةً إلى الدار.

**القصيدة 64 (المجلد الأول – الربيع: القسم الأول)**

**الشاعر: مجهول**

**سياق نظم القصيدة: غير معروف**

ちりぬれは

こふれとしるし

なきものを

けふこそさくらを

らはをりてめ

إذا تناثرت وتبعثرت،

لن يُجدي اشتياقي إليها؛

فاليوم فقط،

سأقطع غصنًا،

أبقيه معي تذكارًا.

في القصائد السابقة تتجلى رغبة الشاعر في مقاومة زوال أزهار الكرز عبر الاحتفاظ بجزء منها. ففي القصيدتين 54 و55 يرد صوت الشاعر وهو يتغنّى بقطع غصن من الأزهار ليُقدَّم كتذكار إلى من لم تتح له فرصة رؤيتها، وكأن الغصن يحمل الجمال ليعبر المسافات. أما في القصيدة 64 فتنكشف حسرة

أخرى: إذ بعد أن تتساقط الأزهار لا يعود للشوق إليها جدوى، لذلك يختار الشاعر أن يقطفها الآن، قبل أن يبتلعها الفناء.

في النهاية، وجب التنويه إلى أن القصائد التي تناولتها هنا ليست إلا جزءًا من قصائد أزهار الكرز في "كوكين واكاشو"، ولا يزال هناك الكثير مما لم أتطرق إليه. ومع ذلك، كان من المهم أن اختار باقة منها، لترجمها والتعليق عليها، لتشكيل صورة مجملة تُعين القارئ على تخيّل الملامح الأساسية التي رسمها الشعراء لهذه الأزهار، وكيف ربطوها بالعناصر الطبيعية من ضباب وثلج وريح وماء، وبالوجدان الإنساني من شجن وبهجة وحنين. وفي بعض الأحيان آثرتُ ترجمة المعنى الأدبي بدلًا من الاقتصار على الترجمة الحرفية، رغبةً في نقل الأثر الشعوري والجو الروحي الذي أراده الشاعر في نظمه وغنائه، لا مجرد كلماته.

## تعليق المترجم:

تضعنا ترجمة نصوص أزهار الكرز أمام بعض الإشكاليات، منها اللغوي وبعضها تأويلي ورمزي. فالأمر لا يقتصر على نقل كلمات بعينها، بل يمتد إلى استحضار الأجواء الجمالية والأسئلة الوجودية المضمَرة فيها.فعند ترجمة قصة "تحت أشجار الكرز" لكاجي موتوجيرو، واجهت المترجم إشكالية المفرد والجمع: هل نقول "تحت شجرة الكرز" أم "تحت أشجار الكرز؟". النص الياباني يستخدم دائمًا عبارة 桜の樹 بصيغة المفرد، سواء في العنوان أو في المتن، ولا يرد فيه أي شكل جمع مثل 桜の木々غير أن المقصود ليس توصيف شجرة بعينها، بل بناء صورة رمزية تعبر عن أن الجمال الباهر يستمد سرّه من الموت الكامن في أعماقه. ومن هنا كان الخيار بين المفرد والجمع قرارًا تأويليًا لا لغويًا فقط. وقد اخترتُ في النهاية صيغة الجمع، أي تحت أشجار الكرز، لما تمنحه من اتساع في الدلالة وشمولية في الرمز، بحيث تصبح رمزية ربط الموت وأشجار الكرز قاعدة خلف كل أشجار الكرز لا خلف شجرة بعينها.

Telegram:@mbooks90

أما في رواية "في الغابة تحت أزهار الكرز في أوج تفتحها" لساكاجوتشي أنجو، فكان التحدي مختلفًا. فكلمة "満開" تعني الذروة والاكتمال، لا مجرد التفتح، ومن ثم فإن نقلها إلى العربية يتطلّب صياغة تُبرز لحظة الامتلاء القصوى للجمال. كذلك فإن كلمة "森" تحيل إلى الغابة المتكاثفة بما توحي به

من رهبة ووحشة. لذا كانت الصيغة الأدق بالعربية: في الغابة تحت أزهار الكرز في أوج تفتحها، إذ تجمع بين الأمانة الدلالية للنص الأصلي والانسجام الأسلوبي في العربية، فضلًا عن حفاظها على البنية الرمزية للعمل.

أما في أشعار أزهار الكرز في مجموعة "كوكين واكاشو"، فقد برزت إشكالية أخرى، هي الموازنة بين الترجمة الحرفية التي تُظهر البنية الشعرية الدقيقة، والترجمة الأدبية التي تنقل الأثر الشعوري والجو الروحي الذي قصده الشاعر. وقد اعتمدتُ نهجًا وسطًا، يراوح بين هذين النهجين وفقًا لطبيعة كل قصيدة.

إن هذه الترجمات الثلاث تكشف مجتمعةً عن تحوّلات صورة أزهار الكرز في الأدب الياباني وتساعد القارئ على إدراك تعدد رمزية أزهار الكرز: فقد تكون رمزًا تقليديًا للجمال، للغزل، أو لمشاعر الحنين، لكنها في النصوص الحديثة تجاوزت هذه الصورة التقليدية لتكتسب أبعادًا أكثر عمقًا وتشعبًا. وهذا التعدد في الدلالات لا يعني التناقض، لأن الجمال والقبح، والحياة والموت، وجهان لعملة واحدة. كما أن تطوّر الرمزية أمر طبيعي، إذ تتغير الرؤى الأدبية والرمزية بتغير المجتمع وظروفه السياسية والثقافية. وتحوّل رمزية أزهار الكرز عبر العصور أكبر دليل على ذلك.

## تعريف بالمترجم:

## د.هبة الله أبو بكر محمد

مدرس بقسم اللغة اليابانية بكلية الألسن جامعة عين شمس تخرّجت في قسم اللغة اليابانية، كلية الألسن، جامعة عين شمس عام 2013 بتقدير إمتياز مع مرتبة الشرف، حصلت على درجة الماجستير في الأدب الياباني من كلية الآداب، جامعة القاهرة عام 2017 بمرتبة امتياز، عن رسالة بعنوان: "صورة أزهار الكرز في القصص اليابانية الحديثة – مع التركيز على «تحت أشجار الكرز» لكاجي موتوجيرو و«في الغابة، تحت أزهار الكرز في أوج تفتحها» لساكاجوتشي أنجو".وفي عام 2022 نالت درجة الدكتوراه في الأدب الياباني الحديث والمعاصر من كلية الآداب، جامعة القاهرة بمرتبة الشرف الأولى، عن أطروحة بعنوان: "الصورة الرمزية لأزهار الكرز في القصص الشعبي الياباني الحديث – دراسة تحليلية لأعمال ياناغيتا كونيو".تعمل محاضِرة في تدريس اللغة اليابانية والأدب الياباني وتهتم بتطوير الدراسات اليابانية، وتعزيز التفاهم المتبادل بين مصر واليابان من خلال البحث العلمي والتبادل الثقافي. فازت عام 2021م في الدورة الأولى لمسابقة العالم العربي للمترجمين الشباب عن ترجمة رواية بعنوان "ما وراء السجن" للكاتب ناغاي كافو، بتنظيم قسم اللغة اليابانية وآدابها بجامعة القاهرة ومؤسسة اليابان للتعاون الدولي بالقاهرة .

(1) المدقة (Pistil) هي عضو التكاثر الأنثوي في الزهرة، وتتكون من ثلاثة أجزاء رئيسية: المبيض (Ovary)، والقلم (Style)، والوصمة (Stigma).